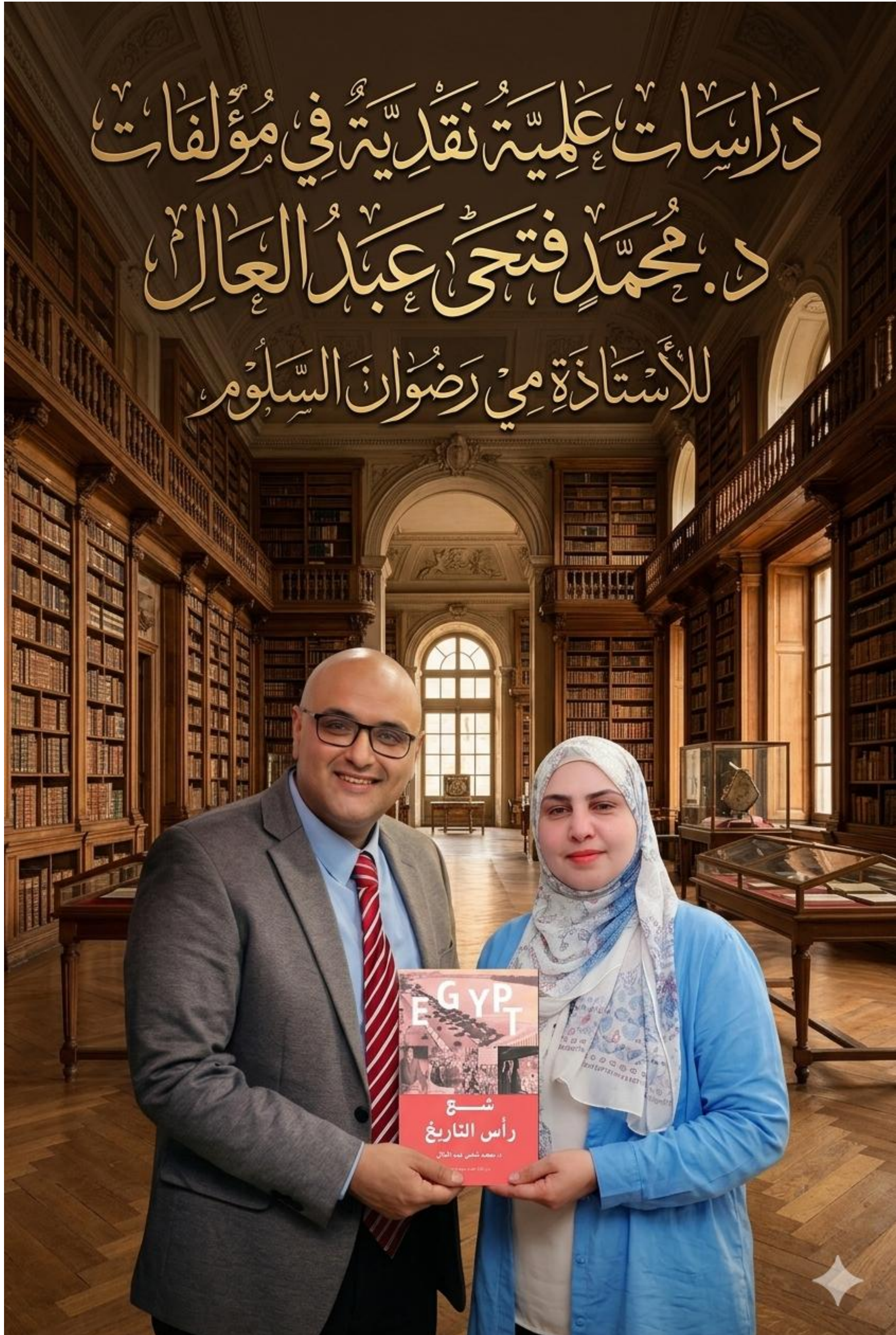
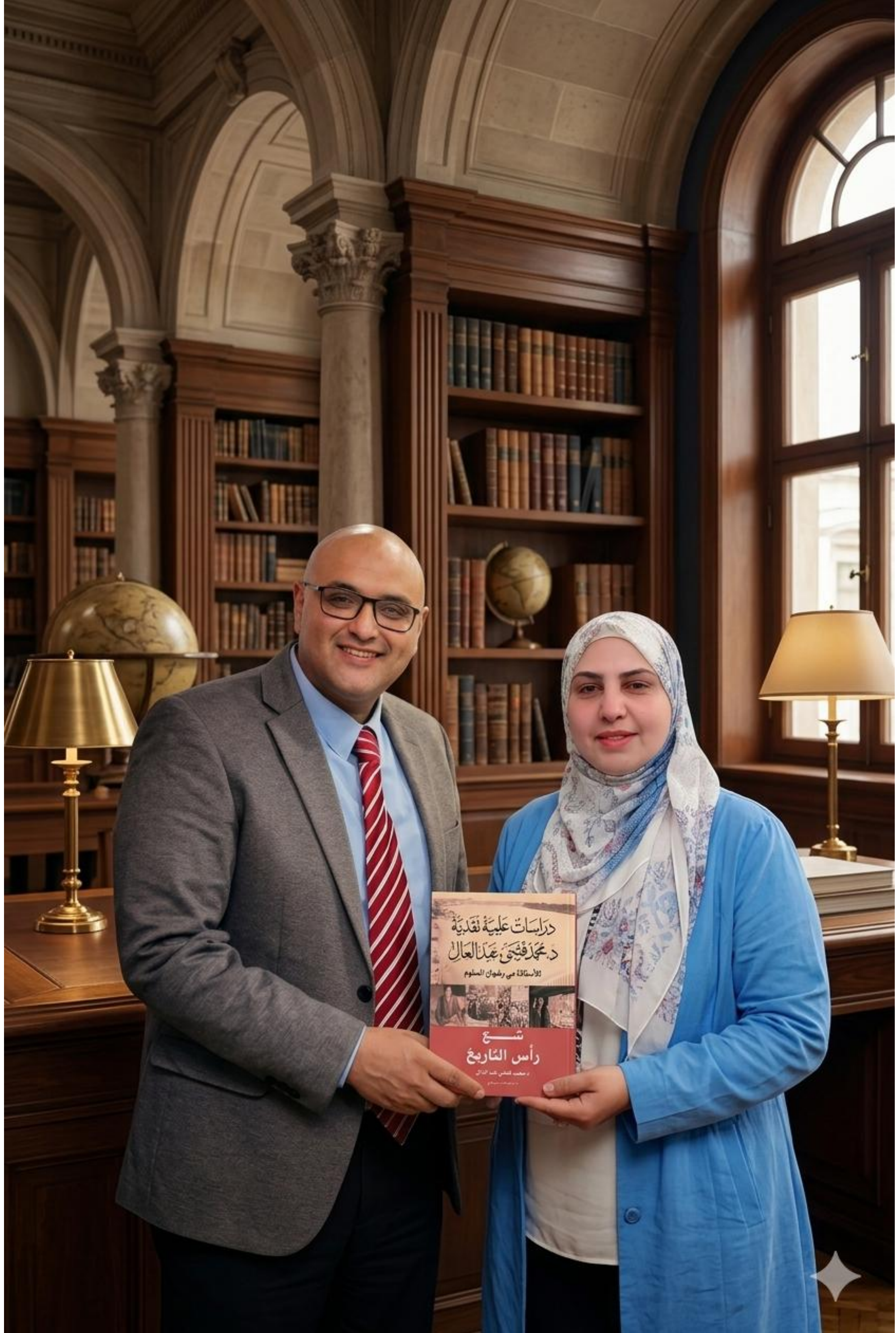
دراسات علمية نقدية في مؤلفات د.محمد فتحي عبد العال

للأستاذة مي رضوان السلوم




دراسات علمية نقدية
د. محمد فتحي عبد العال
رأس التاريخ

الأبحاث بأداة claude للذكاء الاصطناعي

البحث الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

النزعة الإنسانية في التأريخ العلمي

دراسة في كتابَي «شجّ رأس التاريخ» و«هوامش على دفتر أحوال مصر»

للدكتور محمد فتحي عبد العال

Humanist Tendencies in Scientific Historiography:
A Study in the Works of Shajj Ra's al-Tarikh and Hawamish 'ala Daftar Ahwal Misr

ملخص البحث

يتناول هذا البحث ظاهرة النزعة الإنسانية في التأريخ العلمي من خلال دراسة تحليلية مقارنة لكتابَي الدكتور محمد فتحي عبد العال: «شجّ رأس التاريخ: تجليات التواصل الفعال» (٢٠٢٤م)، و«هوامش على دفتر أحوال مصر: قراءة في أرشيف الصحافة المصرية» (٢٠٢٣م). ويكشف البحث عن منهج مبتكر في الكتابة التاريخية يجمع بين الصرامة العلمية في توثيق الوقائع والحوادث المستقاة من أرشيف الصحافة المصرية، وبين الوجدانية الإنسانية التي تجعل من الإنسان البسيط محورًا أساسيًا في السرد التاريخي. ويرصد البحث المحاور الرئيسية لهذه النزعة الإنسانية، متمثلةً في: الاهتمام بالمهمَّشين والبسطاء، ونقد الفساد الإداري والاجتماعي بروح إنسانية لا تعدامية، والسعي إلى التواصل الفعال بين الكاتب والقارئ، فضلًا عن توظيف الأرشيف الصحفي أداةً للإنصاف والعدل. وخلص البحث إلى أن الدكتور عبد العال يمثّل نموذجًا فريدًا في تيار التأريخ الإنساني، إذ يتجاوز الوثيقة التاريخية إلى ضمير المجتمع وروحه.

الكلمات المفتاحية: النزعة الإنسانية، التأريخ العلمي، أرشيف الصحافة المصرية، التواصل الفعال، شجّ رأس التاريخ، هوامش على دفتر أحوال مصر.

Keywords: Humanism, Scientific Historiography, Egyptian Press Archive, Effective Communication, Egyptian Social History.

أوّلًا: المقدمة

يُعدّ السؤال عن غاية التاريخ وجدواه من أعمق الأسئلة التي شغلت فلاسفة التاريخ ومؤرخيه على مرّ العصور؛ أهو تدوين للحوادث وضبط للتواريخ، أم هو أداة لفهم الإنسان في واقعيته وإنسانيته؟ وفي سياق الكتابة التاريخية العربية الحديثة، يبرز اسم الدكتور محمد فتحي عبد العال، الكاتب والباحث والروائي المصري، ممثّلًا لمدرسة فكرية تصطلح هذه الدراسة على تسميتها بـ«التأريخ الإنساني»، وهو تأريخ يجمع بين صرامة الباحث في توثيق المصادر الأولية، ونظرة الأديب الحالمة بإنصاف المنسيّين والمهمَّشين.

يتمحور هذا البحث حول نصّين بارزَين للمؤلف: أوّلهما «شجّ رأس التاريخ: تجليات التواصل الفعال» (٢٠٢٤م) الصادر عن دار ديوان العرب للنشر والتوزيع، وهو كتاب حواري فريد يُفرد فيه الكاتب مساحة واسعة للحوار المعمّق مع قرائه حول مجمل إشكاليات التاريخ الاجتماعي المصري، والثاني «هوامش على دفتر أحوال مصر: قراءة في أرشيف الصحافة المصرية» (٢٠٢٣م) وهو قراءة تحليلية في الذاكرة الجماعية المصرية من خلال الأرشيف الصحفي النادر.

تنطلق الدراسة من سؤال مركزي: كيف تتجلّى النزعة الإنسانية في المنهجية التأريخية عند الدكتور عبد العال، وما الأدوات الأسلوبية والمنهجية التي يوظّفها لتحقيق هذا الغرض؟

أهمية البحث وإشكاليته

تكمن أهمية هذا البحث في أنه يتناول ظاهرة التأريخ الإنساني في مرحلة حاسمة من تطور الكتابة التاريخية العربية، حيث يتنازع التيارُ الأكاديمي الصارم والتياراتُ الشعبوية غيرُ المؤسّسة المشهدَ المعرفي. فكتابات الدكتور عبد العال تمثّل نموذجًا وسطًا يجمع بين الأمانة في التوثيق والسلاسة في التواصل. فضلًا عن ذلك، فإن توظيفه لأرشيف الصحافة المصرية مصدرًا تاريخيًا أساسيًا يفتح آفاقًا منهجية جديرة بالدرس والتمحيص.

منهج الدراسة وحدودها

تعتمد الدراسة على المنهج التحليلي النقدي في قراءة النصَّين، مع الاستعانة بالمنهج المقارن لرصد التقاطعات والاختلافات في المقاربة الإنسانية بين الكتابَين. وتلجأ الدراسة كذلك إلى استحضار السياق الثقافي والتاريخي لمصر في الحقبة الملكية وما تلاها، باعتبار ذلك ضروريًا لاستيعاب البنية المرجعية التي يتحرك في إطارها المؤلف.

ثانيًا: الإطار النظري ــــ النزعة الإنسانية في التأريخ

مفهوم التأريخ الإنساني

لا يقصد المؤرخون بالتأريخ الإنساني تلك الكتابات العاطفية التي تُسقط الرومانسية على الحوادث، بل يعنون به منهجًا يضع الإنسان في مركز الاهتمام التاريخي، لا الأحداث الكبرى ولا الشخصيات الاستثنائية وحدها، بل الناس العاديون في تفاصيل حياتهم اليومية وصراعاتهم مع الواقع. ويرتبط هذا التوجه بما عُرف في التاريخنة الغربية بـ«تاريخ من أسفل» (History from Below) الذي أسّس له مؤرخو مدرسة الحوليات الفرنسية، وجاء تيار التاريخ الاجتماعي البريطاني والأمريكي ليرسّخه.

غير أن التأريخ الإنساني في سياقنا العربي يكتسب خصوصية ثقافية متميزة، إذ يستدعي التراث الأدبي والقيمَ الأخلاقية إلى جانب الأدوات التاريخية، فيصير الباحث ناقدًا اجتماعيًا وشاهدًا على الضمير الجمعي في آنٍ واحد.

الدكتور عبد العال في مسيرة التأريخ الإنساني المصري

يندرج الدكتور محمد فتحي عبد العال في سلسلة طويلة من الكتّاب والمؤرخين المصريين الذين اضطلعوا بمهمة صون الذاكرة الجماعية، غير أنه يتميز عنهم بالمزج الجريء بين أسلوب الرواية والتحليل الأكاديمي والحوار التفاعلي مع القارئ. وقد أشار المؤلف نفسه في مقدمة «شجّ رأس التاريخ» إلى غايته الأسمى حين قال: إنه «بهذا الكتاب يكون أوّل كاتب مصري وعربي يتخذ هذه الخطوة ويُفرد هذه المساحة الكبيرة لقرائه؛ بحثًا عن قواسم مشتركة وفهم متبادل من أجل واقع أفضل وغدٍ مشرق عمادهما تاريخ حقيقي أو قاب قوسين أو أدنى منه».

ثالثًا: النزعة الإنسانية في «شجّ رأس التاريخ»

١. البنية الحوارية كأداة إنسانية

يقوم كتاب «شجّ رأس التاريخ» على بنية حوارية فريدة من نوعها في مكتبة التأريخ الاجتماعي العربي؛ إذ يقدّم المؤلف إجاباتٍ مستفيضةً على أسئلة قرائه، متحوّلًا من مؤرخ يُحاضر إلى محاور يُصغي. وقد صرّح المؤلف بأن ما دفعه إلى هذا الأسلوب هو إيمانه بمبدأ التواصل الفعّال (Effective Communication) الذي تعلّمه من ميدان إدارة الجودة، حيث تعلّم أن يحترم كل استفسار، مهما بدت بساطةُ أطروحاته أو أصحابِه. وهذا بحد ذاته موقف إنساني عميق يرفض التراتبية المعرفية ويُكرّم كل سائل.

وفي هذا الإطار، تبرز قضية التواصل بوصفها قيمة إنسانية لا مجرد أداة تقنية. فالمؤلف لم يكتفِ بتوثيق الأحداث، بل سعى إلى أن يجعل القارئ شريكًا في رحلة اكتشاف التاريخ وفهم إشكالياته.

٢. المنظومة الصحية: الإنسان في مواجهة المؤسسة

يُمثّل استعراض المنظومة الصحية المصرية في الحقبة الملكية أحد أبرز التجليات الإنسانية في الكتاب. فحين يستدعي الكاتب شخصية «آرثر سيسيل ألبورت» وتقاريره الإحصائية عن مستشفى قصر العيني، لا يكتفي بسرد الأرقام الباردة، بل يضخّ فيها روحًا إنسانية تتساءل عن السبب والمسؤول والضحية. فالإحصاء المروّع الذي يقول بأن ٦٠٪ من مرضى أقسام الجراحة كانوا يلقون حتفهم في شهر واحد لا يمرّ بوصفه رقمًا، بل يُقلّب الكاتب خلفه عن أرواح أُهدرت وإهمال مُمنهج وغياب ضمير مؤسسي.

> *«تدني المنظومة الصحية ليس وليد اليوم كما قلنا مرارًا وتكرارًا، والذكرى تنفع العاقلين»*

ويذهب المؤلف أبعد من مجرد توثيق الفساد، ليربطه بالواقع الراهن، مؤكدًا امتداد الجرح الاجتماعي عبر الأزمنة، وهو ما يجعل من التاريخ مرآةً لا مقبرةً. والملاحظ أن الكاتب يُبرز في هذه القضايا أسماء الضحايا من عامة الناس والجراحين الذين ماتوا بسبب إهمال مؤسسي وليس بسبب مرضهم الأصلي، وهو ما يمنح هذه الأرقام وجهًا إنسانيًا.

٣. العدالة الاجتماعية والتفاوت الطبقي

يكشف الكتاب عن وعي اجتماعي حاد بقضايا التفاوت الطبقي، يتجلى في المقابلة الحادة بين الثروات الخيالية لرجال الدولة كـ«مصطفى رياض باشا» و«إسماعيل راغب» من جهة، وبؤس الفلاحين والعمال والخدم من جهة أخرى. وحين يتتبع المؤلف المسيرة المهنية لهؤلاء الرجال بالأرقام والوثائق التاريخية، لا يُضمر حكمًا أخلاقيًا جاهزًا، بل يُتيح للوثيقة أن تكشف ذاتها:

> *«أمتخيّل معي حجم هذا الثراء الخيالي في بلاد شعبها جُلّه عراةٌ وجياعٌ وحفاة، ولا يوجد بها قانون يحاسب المسؤول: من أين لك هذا؟!»*

والسؤال البلاغي هنا ليس مجرد وسيلة خطابية، بل هو تعبير صادق عن حيرة الباحث أمام صمت المؤسسات وغياب العدالة. ولعلّ أهم ما يميّز هذا الطرح أن الكاتب لا يكتفي بانتقاد الأفراد، بل يوجّه نقده إلى المنظومة الكاملة التي أتاحت لهؤلاء تراكم الثروات دون حساب.

٤. الفن والمجتمع: السينما شاهدًا على الإنسان

في استعراض أفلام عمالية كـ«الأيدي الناعمة» (١٩٦٣م) و«العامل» (١٩٤٣م) و«ابن الحداد» (١٩٤٤م) و«المظاهر» (١٩٤٥م) وغيرها، يوظّف المؤلف التاريخ السينمائي دليلًا على المزاج الاجتماعي لمرحلة ما قبل الثورة وما بعدها. ولا يُحلّل الأفلام فنيًا بقدر ما يستثمرها مرايا للقيم الإنسانية: قيمة العمل، وكرامة الإنسان بصرف النظر عن طبقته أو أصله.

ولا يتوقف عند الأفلام الرسمية الكبرى، بل يُضيء بمحبة واضحة على قصة الخادمة «سيدة» التي قُتلت بسبب قصة حب عابرت الطبقات، مؤكدًا أن هذه القصة الحقيقية كانت أجدر بأن تُحوَّل إلى فيلم من كثير من الروايات الخيالية، ثم يعلّق بحرقة: «لكن الفقراء لا أحد يعبأ بالتقليب في أوراقهم».

٥. التراث الروحي والنزعة الإنسانية

لا تفوت المؤلفَ الإشارةُ إلى البعد الروحي في الخبرة الإنسانية المصرية، حين يتناول أضرحة الأولياء ومقاماتهم وما ترتسم حولها من معاني التشبث بالأمل في مواجهة الشقاء. والملفت أن معالجته لهذا الموضوع لا تنحو منحى الرفض العلماني ولا التقديس الأعمى، بل تقف في مساحة الفهم الإنساني المتعاطف الذي يُدرك حاجة الإنسان إلى ما يتعلق به وقت الضيق.

ومن أبرز المشاهد دلالةً في هذا السياق استعراضه لكنيسة القديسة تريزا في شبرا وزيارة المسلمين وغير المسلمين لها، مستخلصًا من هذا التاريخ رسالةً إنسانية جامعة عن السعي المشترك للبشر نحو السلوان والأمل.

رابعًا: النزعة الإنسانية في «هوامش على دفتر أحوال مصر»

١. أرشيف الصحافة منبرًا للمهمَّشين

يقوم كتاب «هوامش على دفتر أحوال مصر» على فلسفة منهجية صريحة يُعلنها المؤلف في مقدمته: «في هذا الكتاب سوف أخطّ لك تاريخًا جم أبطاله من العوام والبسطاء والمجهولين من واقع أرشيف الصحافة المصرية الممتد، ستجد جدّك وجدّتك وقريبًا لي وقريبًا لك». وهذا الإعلان في حدّ ذاته هو خيار إنساني واضح المعالم: أن يكون التاريخ حيثما يُكتب وطنًا للجميع لا امتيازًا للصفوة.

وتتجلى هذه الفلسفة في منهجية الاختيار والانتقاء؛ إذ لا يُركّز المؤلف على القضايا الكبرى والشخصيات المشهورة، بل يستجلي القضايا الجنائية والحوادث الاجتماعية والوقائع الطريفة التي تكشف عن النسيج الحيّ للمجتمع المصري في حقبه المختلفة. ففي القضايا الجنائية لا يبحث عن الإثارة، بل عن الكشف الاجتماعي الذي تحمله هذه القضايا عن منظومة العدالة وانكشاف الطبقات وضعف المرأة وهشاشة البنى الاجتماعية.

٢. حقوق الإنسان المهني: الطبيب والصيدلاني نموذجًا

يُعدّ فصل المنظومة الصحية في الكتاب نموذجًا رفيعًا على التأريخ الإنساني الذي يمزج بين التوثيق الأرشيفي ونقد البنى المؤسسية وإنصاف الفرد المظلوم. ومن أبرز ما ورد فيه قضية الصيدلاني «رزق أفندي بطروس» الذي انتحر في قاعة المحكمة صارخًا: «عشت بريئًا وسأموت بريئًا شهيد الظلم شهيد الاستبداد»، وهي صرخة تُدوّي عبر الزمن لتعكس معاناة المهنيين الشرفاء في مواجهة الفساد والمحسوبية.

وليس أبلغ في التعبير عن الظلم المؤسسي من قضية الدكتور «علي عبد السلام» الباحث الذي يقضي عشر سنوات في مستشفى المجاذيب، لا لأنه فقد عقله، بل لأنه رفض الاستسلام للمحسوبية وطالب بحقه في ترقية مُستحقة. والمفارقة المرّة أن تقرير الإيداع في المستشفى وصفه بأنه «ما زال ينتقد النظم الحالية ويسعى لتغييرها». وهنا يصبح التاريخ محكمةً شعبيةً تُنصف من لم تُنصفهم محاكم الزمان.

> *«تبقى في إطارها العام قصة تحدث في مصر بشكل متكرر عبر عهودها المختلفة من سيطرة المحسوبيات وقسوة الشعور الذاتي بعدم التقدير وتكافؤ الفرص»*

٣. القضاء والعدالة: الإنسان بين يدَي المؤسسة

تحتل القضايا الجنائية حيزًا واسعًا في الكتاب، لكنها ليست سردًا بوليسيًا خالصًا، بل أداةً لرصد الثقافة القانونية وكيفية تعامل المؤسسات مع الإنسان. ومن أبرز ما يكشفه هذا الفصل أن إجراءات التقاضي في الحقبة الملكية كانت في أغلب الأحيان تميل إلى «الخطابة والبلاغة بعيدًا عن فحص الأدلة ومقارنتها بعناية»، وهو نقد منهجي دقيق يكشف عن وعي الباحث بمتطلبات العدالة الحديثة.

كذلك تُلقي القضايا الضوء على أوضاع المرأة والأطفال والعمال والأقليات، كاشفةً أن التهميش كان بنيويًا وممنهجًا. ولا يكتفي المؤلف بالوصف، بل يضع القارئ في موضع التساؤل والمحاسبة الأخلاقية.

٤. أدب المديح والتزلف: نقد الثقافة السلطوية

يُقدّم الفصل الثاني من الكتاب «متفرقات من أدب الرسائل والإهداءات والخطابة والاقتباسات» نقدًا اجتماعيًا لاذعًا وعميقًا لظاهرة التزلف والنفاق التي كانت سمة طاغية في الثقافة الرسمية للحقبة الملكية. ويعرض المؤلف نماذج مذهلة من إهداءات الكتب للملوك والوزراء وأصحاب السلطة، وهي نماذج تُجسّد بصورة مدهشة كيف يمكن أن تُسخَّر الكلمة في خدمة السلطة على حساب الكرامة والمعنى.

وهنا تتجلى النزعة الإنسانية بوجهها النقدي: فالكاتب حين يُوثّق هذا الإرث الممجوج لا يُسلّي القارئ بطرائف التاريخ فحسب، بل يُذكّره بالثمن الحضاري الباهظ لغياب الحرية والاستقلالية الفكرية، ويدعوه ضمنيًا إلى أن يتأمل واقعه المعاصر في ضوء هذه الوقائع.

٥. الرثاء والإهداءات الإنسانية: روح الزمن الغابر

من أكثر ما يُعبّر عن النزعة الإنسانية في الكتاب تلك النماذج المختارة من الرثاء والإهداءات الشخصية، كرثاء الأم لابنها الراحل بكلمات تنضح بالألم الإنساني الصادق، ورثاء شيخ الأزهر «محمد الخضر حسين» لزوجته، وهي قصيدة تجمع بين جلال العلم ورقة الشاعر الحزين. ويُدرك المؤلف أن هذه الشهادات الشخصية هي أعمق طبقات التاريخ الاجتماعي وأكثرها صدقًا، لأنها لم تُكتب للعرض والاستعراض، بل انبثقت من أعماق النفس البشرية في لحظاتها الأكثر هشاشةً وصدقًا.

خامسًا: المنهجية الإنسانية عند الدكتور عبد العال — تحليل مقارن

١. التوثيق الأرشيفي ونقد المصادر

يتميز المؤلف بدأبه على إيراد إشارات أرشيفية دقيقة: أرقام أعداد الصحف وتواريخها وأسماء أصحابها، وهو ما يمنح كتاباته مصداقيةً علميةً رفيعة. ومع ذلك، فهو لا يتحوّل إلى آلة توثيق، بل يحتفظ دائمًا بصوت الباحث الإنساني الذي يُفسّر ويُحكم ويُساءل. وهو يُنبّه صراحةً إلى حدود المصدر الأرشيفي وقيوده، ولا سيما حين يقول إن كثيرًا من هذه القضايا لم تتابع الصحفُ أحكامها النهائية واكتفت بعرض مقدماتها.

كما يُبدي تحفّظًا علميًا واضحًا تجاه بعض روايات كتب السيَر والتراجم، إذ يدعو إلى «الحرص في التعامل مع كتب التراجم والسير والتأكد من صحة ما تورده من أخبار»، وهو موقف منهجي ناضج يتجاوز الوثوقية الساذجة.

٢. الأسلوب السردي وإنسانية اللغة

تتسم لغة المؤلف بمزج دقيق بين الفصاحة الأدبية والتعبير العامي الذي يُقرّب المضمون التاريخي من القارئ العادي. فحين يكتب عن قضية أو حادثة، لا يتعامل معها بعقل المحلّل الجراحي البارد، بل يُضفي عليها حرارة إنسانية تُشعل فضول القارئ وتستدرج تعاطفه. والحوار الذي يُدار في «شجّ رأس التاريخ» لا يُشبه الحوارات الأكاديمية الرسمية، بل هو أقرب إلى النقاش الصريح بين رفيقَي فكر متفاهمَين.

كذلك يُحسن المؤلف توظيف الشعر والأمثال والحكم التراثية توظيفًا فنيًا يُثري السياق دون أن يستعرضه، وهو ما يمنح النصّ بُعدًا ثقافيًا مركّبًا يتجاوز مجرد سرد الوقائع.

٣. الموقف الأخلاقي وحرية النقد

يُبدي المؤلف طوال الكتابَين موقفًا أخلاقيًا راسخًا لا يخلط بين الموضوعية والحياد السلبي؛ فهو يوثّق لكن لا يُقدّس، ويعرض لكن لا يُبرر، ويربط الماضي بالحاضر دون أن يُسقط عليه رؤى أيديولوجية جاهزة. وهذا التوازن الدقيق بين الانتماء القيمي وحرية النقد هو ما يمنح كتاباته طابعًا إنسانيًا أصيلًا بعيدًا عن الدعاية والتحزّب.

ولعلّ من أبرز مظاهر هذه الحرية النقدية استعداده لنقد رموز دينية وأدبية وسياسية كبيرة، كنقده لبعض جوانب شخصية أمير الشعراء أحمد شوقي، أو كشفه عن وجه الفساد في تاريخ شخصيات احتلت مناصب رفيعة، دون خشية أو مجاملة زائفة.

٤. التناص بين الزمنَين والوظيفة التعليمية للتاريخ

يُجيد المؤلف في الكتابَين فنّ إقامة الجسور بين الزمن الماضي والزمن الراهن، فلا يترك حادثةً تاريخية دون أن يستثمرها دلالةً على إشكالية معاصرة. وهذا ما يمنح التاريخ وظيفته التعليمية الأصيلة: أن يُضيء الحاضر ويُرشد إلى المستقبل. ومن أبرز الأمثلة على ذلك ربطه بين إضراب أطباء عام ١٩٥١م وإشكاليات رواتب الكوادر الطبية المعاصرة، وربطه بين فساد المنظومة الصحية في الحقبة الملكية وإشكاليات هذه المنظومة في زماننا.

سادسًا: القراءة النقدية — حدود النزعة الإنسانية

لا يعني الإشادة بالمنهج الإنساني عند الدكتور عبد العال إغفالَ تحدياته وقيوده. فمن أبرز ملاحظات الدراسة النقدية أن الوجه الإنساني للكتابة قد يُفضي أحيانًا إلى إدماج صوت الكاتب في المادة التاريخية بصورة تُصعّب أحيانًا التمييز بين الوقائع والتأويلات. كذلك فإن انتقاء الحوادث من أرشيف الصحافة قد يُفضي إلى انحياز قصدي أو غير قصدي نحو الحوادث الأكثر إثارةً أو دلالة، مما قد يُوجد صورةً للماضي أقرب إلى الانتقاء منها إلى الشمولية.

ومع ذلك، يُدرك المؤلف هذه الإشكالية ويُنبّه إليها صراحةً في أكثر من موضع، مُقرًّا بحدود ما يستطيع التحقق منه وما يظل رهين الإشارات والاستئناس. وهذا الوعي النقدي الذاتي هو في حد ذاته دليل على النضج المنهجي.

سابعًا: الخاتمة والنتائج

خلصت الدراسة إلى جملة من النتائج يمكن إجمالها على النحو الآتي:

أوّلًا: يُمثّل الدكتور محمد فتحي عبد العال في كتابَيه «شجّ رأس التاريخ» و«هوامش على دفتر أحوال مصر» نموذجًا واضحًا للتأريخ الإنساني في مرحلته العربية المعاصرة، يجمع بين صرامة التوثيق وعمق الرؤية الإنسانية.

ثانيًا: يكشف الكتابان عن منهجية تأريخية مبتكرة تقوم على إعادة إنصاف المهمَّشين والمنسيّين في التاريخ، مستعينةً بأرشيف الصحافة المصرية مصدرًا تاريخيًا لا يقلّ قيمةً عن الوثائق الرسمية.

ثالثًا: يتجلى البعد الإنساني في الكتابَين من خلال محاور متعددة: حقوق الإنسان المهني، والعدالة الاجتماعية، ونقد الفساد المؤسسي، وإنصاف المرأة والفقير والطبقات المسحوقة، والاحتفاء بالموروث الثقافي والعاطفي للمجتمع المصري.

رابعًا: يمثّل كتاب «شجّ رأس التاريخ» ريادةً تجريبية جريئة في استعادة التواصل الحقيقي بين الكاتب والقارئ، مُجسّدًا رؤية تقوم على احترام المعرفة المشتركة وتكريم السؤال أيًّا كان صاحبه.

خامسًا: يقترح الكتابان معًا نموذجًا للتأريخ الإنساني الذي يمكنه أن يُسهم في بناء وعي اجتماعي أكثر نضجًا وأعمق عدالةً، انطلاقًا من استيعاب الدروس التاريخية لا من حفظها جامدةً في ذاكرة باردة.

المصادر والمراجع

أوّلًا: المصادر الأساسية

١. عبد العال، محمد فتحي. شجّ رأس التاريخ: تجليات التواصل الفعال. الطبعة الأولى. بورسعيد: دار ديوان العرب للنشر والتوزيع، ٢٠٢٤م.

٢. عبد العال، محمد فتحي. هوامش على دفتر أحوال مصر: قراءة في أرشيف الصحافة المصرية. الطبعة الأولى. بورسعيد: دار ديوان العرب للنشر والتوزيع، ٢٠٢٣م.

ثانيًا: المراجع العربية

٣. أبو زيد، نصر حامد. إشكاليات القراءة وآليات التأويل. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٢م.

٤. أمين، أحمد. قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٣م.

٥. الجابري، محمد عابد. نحن والتراث: قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٨٦م.

٦. حسن، إبراهيم حسن. تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي. ط١١. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٦م.

٧. طه، سيد. فلسفة التاريخ: الأسس الفكرية وعلاقتها بالسياق الاجتماعي. القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٥م.

٨. عوض، لويس. المسرح والفنون الأدائية في مصر الحديثة. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م.

٩. فهمي، خالد. كل رجال الباشا: محمد علي وجيشه وبناء مصر الحديثة. ترجمة: شريف يونس. القاهرة: دار الشروق، ٢٠١٣م.

١٠. غبريال، ماريان. تاريخ الصحافة المصرية. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م.

ثالثًا: المراجع الأجنبية

Bloch, Marc. The Historian's Craft. Manchester: Manchester University .١١

.Press, 1954

:Burke, Peter. New Perspectives on Historical Writing. 2nd ed. Cambridge .١٢

.Polity Press, 2001

.Hobsbawm, Eric & Ranger, Terence (eds.). The Invention of Tradition .١٣

.Cambridge: Cambridge University Press, 1983

:Thompson, E.P. The Making of the English Working Class. London .١٤

.Victor Gollancz, 1963

Zinn, Howard. A People's History of the United States. New York: Harper .١٥

.Row, 1980 &

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾

البحث الثاني

سردية الأوبئة من منظور" أدب الأزمات"

قراءة نقدية في المجموعة القصصية" حتى يحبك الله "للدكتور محمد فتحي عبد العال

Epidemic Narrative from the Perspective of "Crisis Literature":

A Critical Reading in the Short Story Collection "Hatta Yuhibbak Allah" by

Dr. Muhammad Fathi Abd al-Aal

ملخص البحث

يتناول هذا البحث المجموعة القصصية" حتى يحبك الله "للدكتور محمد فتحي عبد العال بوصفها نموذجاً سردياً بارزاً في أدب الأزمات العربي المعاصر، إذ تندرج ضمن الكتابة الإبداعية التي استجابت لتحديات جائحة كوفيد-١٩. يسعى البحث إلى الكشف عن الآليات الفنية والبنى السردية التي وظّفها الكاتب لتشكيل صورة الوباء وتأثيراته الاجتماعية والنفسية والأخلاقية في ستة عشر نصاً قصصياً متنوعة. ويُناقش البحث مفهوم أدب الأزمات وسماته الجوهرية، ويستقصي الزمن الروائي وتحولاته في ظل الجائحة، وبنية الشخصية وعلاقتها بالأزمة، والمكان ودلالاته الرمزية، فضلاً عن الموقف الأيديولوجي والرؤية التوعوية للنص. وقد اعتمد البحث المنهج النقدي التحليلي مستعيناً بأدوات السرديات والنقد الثقافي. وخلص البحث إلى أن المجموعة تُقدّم رؤية إنسانية شاملة ترى في الأزمة فرصةً للمراجعة والتطهير

الأخلاقي، وأن الكاتب أفلح في توظيف الجائحة محوراً حكائياً يكشف عن تشابك القيم وتصادم الهويات في المجتمع العربي.

الكلمات المفتاحية :أدب الأزمات، سردية الوباء، كوفيد-١٩، القصة القصيرة العربية، محمد فتحي عبد العال، البنية السردية، الموقف الأيديولوجي.

Abstract

This research examines the short story collection "Hatta Yuhibbak Allah" (Until God Loves You) by Dr. Muhammad Fathi Abd al-Aal as a prominent narrative model in contemporary Arabic crisis literature, situated within creative writing that responded to the challenges of the COVID-19 pandemic. The study aims to uncover the artistic mechanisms and narrative structures employed by the author to construct images of the epidemic and its social, psychological, and ethical impacts across sixteen diverse stories. The research discusses the concept of crisis literature and its essential characteristics, investigates narrative time and its transformations

under the pandemic, the structure of characters and their relationship to the crisis, place and its symbolic connotations, as well as the ideological stance and the awareness vision of the text. The study adopts an analytical critical methodology, utilizing tools from narratology and cultural criticism. The research concludes that the collection presents a comprehensive humanistic vision that sees crisis as an opportunity for moral review and catharsis, and that the author succeeded in employing the pandemic as a narrative axis that reveals the intertwining of values and the clash of identities in Arab society.

Keywords: Crisis Literature, Epidemic Narrative, COVID-19, Arabic Short Story, Muhammad Fathi Abd al-Aal, Narrative Structure, Ideological Stance.

أولاً: مقدمة

شكّل وباء كوفيد-١٩ منعطفاً حضارياً غير مسبوق في تاريخ الإنسانية المعاصرة، إذ أعاد رسم خرائط العلاقات الإنسانية وكشف هشاشة المنظومات الاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية على حدٍّ سواء. وفي خضم هذه الأزمة

الوجودية الكبرى، لم يكن الأدب بمنأى عن الاستجابة والتفاعل؛ فسارع الكتّاب والمبدعون العرب إلى توظيف قرائحهم في تشكيل مرايا إبداعية عاكسة لمخاوف الإنسان ورهاباته وتطلعاته في زمن الجائحة.

في هذا السياق، تأتي مجموعة" حتى يحبك الله "للدكتور محمد فتحي عبد العال الصيدلاني والكاتب المصري المتعدد التخصصات، لتمثّل أنموذجاً ثرياً لما يمكن أن يُسمّى" أدب الأزمات "في الرواية القصيرة العربية. فالمجموعة الصادرة في زمن الجائحة تحمل في طياتها ستة عشر نصاً قصصياً تتشابك فيها مصائر أفراد من خلفيات اجتماعية ومهنية متباينة، يجمعها وباء كوفيد-١٩ كقدر مشترك يكشف ما أخفاه السلام من معادن النفوس.

يكتسب هذا البحث أهميته من كونه يُسلّط الضوء على إبداع عربي راهن لم ينل حقه من الدراسة والتمحيص النقدي، إذ تكاد الدراسات النقدية المتعلقة بأدب الأوبئة العربي المعاصر تكون شحيحة قياساً بضخامة الحدث وفداحة تأثيره. وعليه، تنبثق أسئلة البحث الجوهرية: كيف تجلّت الجائحة في البنية السردية لهذه المجموعة؟ وما الأدوات الفنية التي وظّفها الكاتب لتحويل الوباء من ظاهرة صحية إلى منظور كاشف عن أعماق الوجود الإنساني؟ وما الرؤية الأيديولوجية المضمرة خلف هذه القصص؟

ولا يغيب عن أذهاننا أن الكاتب لم يكن بعيداً عن المجال الصيدلاني الذي جعل توصيفه للجائحة يحمل دقةً علمية نادرة في الأدب الإبداعي، تمتزج بالحساسية الأدبية في معالجة الأبعاد الإنسانية للأزمة.

ثانياً: الإطار النظري – أدب الأزمات مفهوماً وسياقاً

1.مفهوم أدب الأزمات

يُعدّ" أدب الأزمات "مصطلحاً نقدياً يُشير إلى ذلك الإنتاج الإبداعي الذي يتشكّل استجابةً لأحداث مفصلية كبرى تُعيد توجيه البوصلة الإنسانية كالحروب والأوبئة والكوارث الطبيعية والأزمات السياسية. وقد أسهم نقاد كثر في بلورة هذا المفهوم، من بينهم تيري إيغلتون في تناوله للعلاقة بين الأدب والأزمة الأيديولوجية، وفريدريك جيمسون الذي ربط الإنتاج الجمالي بالمنطق الثقافي للأزمات الكبرى. وفي السياق العربي، يمكن إدراج أدب النكبة والمنفى ضمن هذا التقليد الذي تجاوب مع الكوارث الجمعية.

ويتسم أدب الأزمات بجملة من السمات الجوهرية، أبرزها: الكثافة الزمنية المضغوطة التي يعيشها الإنسان في لحظات الأزمة، والتشديد على الأبعاد الوجودية والأخلاقية، والميل نحو الكشف عن ما تُخفيه الحياة العادية من تناقضات وصراعات طبقية واجتماعية، فضلاً عن توظيف الأزمة مُقوِّماً سردياً محفزاً للحبكة وأداةً لكشف أعماق الشخصية.

2.أدب الأوبئة في التراث الإنساني والعربي

لأدب الأوبئة جذور ضاربة في تاريخ الكتابة الإنسانية؛ فمنذ رواية دانييل ديفو" يوميات عام الطاعون (1722) " وصولاً إلى" الطاعون "لألبير كامو (١٩٤٧) ثم" الحب في زمن الكوليرا "لغارسيا ماركيز (١٩٨٥)، حرص الأدب العالمي على توثيق الأوبئة وتحويلها رموزاً كاشفة للوضع الإنساني. أما على الصعيد العربي، فقد اهتمّ الأدب القديم بالطواعين في السياقات الدينية والتاريخية، كما يظهر في كتب التاريخ والطب العربي الكلاسيكية. غير أن أدب الأوبئة بمعناه الفني الحديث ظلّ محدوداً حتى منحت جائحة كوفيد-١٩ الكتّاب العرب فرصة تاريخية للانخراط في هذا الجنس الأدبي بعمق غير مسبوق.

وقد تنوعت الاستجابات الإبداعية العربية لجائحة كوفيد-١٩؛ فظهرت روايات وقصص ومسرحيات ودواوين شعرية استوحت من الوباء موضوعاتها ورؤاها، وكانت المجموعة القصصية" حتى يحبك الله "من أبرز هذه الاستجابات في مجال القصة القصيرة الاجتماعية.

.3الدكتور محمد فتحي عبد العال: الكاتب الصيدلاني وأدبه الأزماتي

يُشكّل الدكتور محمد فتحي عبد العال نموذجاً لافتاً للمثقف المزدوج الانتماء المهني والإبداعي؛ فهو صيدلاني بتخصصاته الأكاديمية المتعددة في الكيمياء الحيوية والميكروبيولوجيا وإدارة الجودة، وكاتب منتج في مجالات الأدب والتاريخ والفكر الإسلامي. وتلتقي هذه الجوانب في مجموعته القصصية التي تحمل وعياً علمياً دقيقاً بطبيعة الجائحة يأبى الوقوع في المبالغة أو التسطيح، مع حساسية إنسانية عميقة تحوّل الوباء إلى بوتقة تنصهر فيها القيم والمصائر.

ثالثاً: البنية السردية للمجموعة وتجليات الأزمة

.1عتبة النص: المقدمة بوصفها بياناً أيديولوجياً

لا يمكن قراءة مجموعة" حتى يحبك الله "دون التأمل في مقدمتها التي تُشكّل عتبة نصية كاشفة عن المشروع الجمالي والأيديولوجي للكاتب برمّته. يكتب الدكتور عبد العال مُفصحاً عن دافعه الإبداعي" :لما وجدت أن لا شيء قد تغيّر ولم يستوعب أحد الدرس... عزمت أن أغيّر مسار العالم بقلمي وأن أنسج هذه الأقاصيص صانعاً بها نهايات خيالية لمجتمع فاضل من نسج خيالي كان من المنطق أن تُفضي إليه الأزمة."

هذه العبارة بالغة الدلالة؛ إذ تكشف أن الكاتب لا يسعى إلى التوثيق الواقعي وحده، بل إلى بناء فضاء مضادٍّ للواقع، فضاء يُجسّد ما كان ينبغي أن يكون عليه العالم بعد الجائحة .وهو بذلك يُعلن صراحةً عن الطابع الأخلاقي الاستيعابي لمشروعه السردي، ما يجعل المجموعة وثيقة رؤيوية وليست مجرد حكايات تسلوية.

.2الزمن السردي في زمن الجائحة

يُعدّ الزمن من أكثر العناصر السردية تحولاً في الكتابة الأزماتية، وقد أحسن الدكتور عبد العال توظيفه بعدة أوجه:

أ – الزمن المضغوط: تدور معظم قصص المجموعة في أُطر زمنية مكثفة تتناسب مع طبيعة الأزمة؛ فالجائحة تُلغي الزمن الرخاء وتفرض زمناً طارئاً مشحوناً. وفي قصة" المخالب الناعمة"، تُمثّل فترة الإغلاق زمناً مضغوطاً يُعجّل بالقرارات ويكشف المعادن. وكذلك في" النفس الأمارة "حيث تجعل الجائحة من اللحظة الأخيرة فضاءً للمراجعة والتوبة قبيل الوفاة.

ب – الفلاشباك الكاشف: يلجأ الكاتب بكثرة إلى تقنية الاسترجاع لتقديم سياق حياة شخصياته قبل الجائحة، مما يُضفي بُعداً مقارناً يُجلّي مدى ما أحدثته الأزمة من تحولات. ففي" حكاية أم إكرام"، يُمزج بين زمن الحرب السورية وزمن الجائحة في نسيج سردي محكم يُضاعف من شعور القارئ بثقل المأساة.

ج – الزمن الدائري: ثمة قصص تُفضي عودتها إلى نقطة البداية دلالةً على صعوبة الخروج من دائرة الأزمة، كما في شخصية رفاعي في" مآرب وقحة "الذي يعود إلى مستشفاه القديم بعد فشله، ليُعيد تدوير نمطه الاستغلالي ذاته.

.3الشخصية وأزمة الهوية الأخلاقية

تُشكّل الشخصية محوراً نقدياً جوهرياً في هذه المجموعة، إذ تنقسم شخصيات القصص بحسب علاقتها بالأزمة إلى ثلاثة أصناف رئيسية:

الصنف الأول – الشخصية الممتحَنة التي ترتقي: يُمثّل هذا الصنف نماذج كمروان في" المخالب الناعمة "وحسين في "حصاد الوفاء"، وكلاهما يواجه الضغوط المهنية والأخلاقية في زمن الجائحة فيختار الالتزام على حساب المصلحة الذاتية، مما يُؤهّله لنهاية رمزية مشرّفة. يرفض مروان الانجرار إلى فساد أستاذه حاييم الذي استغلّ الجائحة ذريعةً للتربح من الطلاب، فيجد مخرجاً شريفاً في العمل الحرّ. وحسين يضحّي بمسيرته المهنية في الكويت حفاظاً على مبادئه، ثم يتطوع في فرق العزل المصرية حتى ينال الشهادة.

الصنف الثاني – الشخصية المنهارة أمام الأزمة: تُجسّد هذا الصنف شخصيات كالدكتور حاييم وهادي في" النفس الأمارة"؛ فالأول يكشف الجائحة قبحه الداخلي ونفاقه، والثاني بنى ثروة من الفساد ليجد نفسه تعيساً مدمناً حين يصطدم بحقيقة الموت في مرض أبيه.

الصنف الثالث – الشخصية المصالِحة مع الذات: ويُمثّله هادي ذاته حين يتحوّل بعد وفاة أبيه، وكذلك صافي في" أنثى البيانو "التي تُعيد الجائحة اتصالها بإيمانها المهمَل .وهذا الصنف هو الأكثر حضوراً في المجموعة، ما يدلّ على ميل الكاتب نحو الختام التطهيري والبنّاء.

.4المكان ودلالاته الرمزية في سردية الوباء

لا يكتفي الكاتب بالمكان وعاءً جغرافياً تجري فيه الأحداث، بل يوظّفه دالاً رمزياً يحمل بُعداً فلسفياً واجتماعياً:

المستشفى بوصفه مسرحاً وجودياً: تتكرر بيئة المستشفيات في المجموعة كفضاء أمثل للتجلي في زمن الجائحة؛ ففيه يتشابك الحياة والموت، ويتصارع المهنيون على مساحات الشرف والفساد .مستشفى حسين في الكويت، ومستشفى رفاعي الخليجية، ومعمل مروان الجامعي، كلها أمكنة تُجسّد الصراع بين المهنية الحقيقية والنفعية المتسترة بالعلم.

البيت بوصفه ملاذاً وسجناً: تُعيد الجائحة إلى البيت حضوره المأساوي الثنائي؛ فهو ملاذ من الفيروس وسجن للعلاقات الإنسانية المتشققة. وفي قصة" حكاية أم إكرام"، يُصبح البيت المصري الذي استقبل اللاجئة السورية خديجة رمزاً لتضامن إنساني يُقاوم قسوة المنفى والوباء معاً.

المدن والجغرافيا المتنوعة: تتنقل المجموعة بين الزقازيق والإسكندرية والكويت والرياض والدمام وسوريا ومصر القرن التاسع عشر، مما يُضفي طابعاً كوني الأفق على الهمّ الوجودي للجائحة، ويُؤكد أن الوباء لا يعرف حدوداً جغرافية.

رابعاً: الموضوعات الكبرى في المجموعة

.1الوباء كاشفاً للمعادن :الفاسد يزداد فساداً والنقي يزداد نقاءً

تُشكّل هذه الثيمة العمود الفقري لمعظم قصص المجموعة؛ الجائحة ليست موضوعاً يُكتب عنه بقدر ما هي ضوء يُعرّي ما كان مخبأً في أعماق الشخصيات. فالدكتور حاييم كان فاسداً قبل الجائحة، لكن الإغلاق الجامعي كشف فساده أمام مروان بجلاء. وهادي كان في مهنته تحت سيطرة أبيه، لكن مرض الأب كشف له معنى الزوال وحفّزه على التوبة.

وصافي في" أنثى البيانو "كانت غارقة في عالم من السطحية والعلاقات الهشة، فجاءت إصابتها بكوفيد لتدفعها نحو مصحف طالما أهملته.

هذا التوظيف الأدبي يُذكّر بما قاله ألبير كامو عن الطاعون بوصفه" حالة كشف "تُجرّد الإنسان من أقنعته الاجتماعية وتُواجهه بحقيقته الجوهرية. غير أن الدكتور عبد العال يُضيف بُعداً أخلاقياً ودينياً وإسلامياً يربط الأزمة بالابتلاء الإلهي والفرصة الممنوحة للعودة إلى الفطرة.

.2الصراع بين الكفاءة والزبونية في الفضاء المهني

يُبرز الدكتور عبد العال بعين الخبير الميداني –الصيدلاني وخبير الجودة– ظاهرة اجتماعية بالغة الأثر في المنظومة الصحية العربية؛ وهي سيطرة الزبونية وتهميش الكفاءة. ففي" المخالب الناعمة"، يتشكّل معمل الدكتور حاييم إمبراطورية صغيرة تعمل وفق منطق التبعية لا الجدارة العلمية. وفي" حصاد الوفاء"، يُمثّل امام نموذج المدير الذي صعد سلم الجامعة والمستشفى بالنفاق وتهميش الكفاءات. وفي" مآرب وقحة"، يُجسّد رفاعي النموذج الأكثر بشاعة للنفعي الذي يستغلّ جهود مخلص دون خجل.

ويكتسب هذا الموضوع أهميته النقدية من كونه مجانساً لواقع يعانيه القطاع الصحي العربي، ما يجعل المجموعة ليس فقط وثيقة أدبية بل شهادة اجتماعية على أمراض البيروقراطية المتجذّرة.

.3المرأة بين الضحية والفاعل الاجتماعي

تحتلّ الشخصيات النسائية في المجموعة مساحة لافتة وتتنوع تنوعاً دالاً؛ فبين المرأة اللاجئة خديجة التي فقدت كل شيء ولم تفقد كرامتها الإنسانية، والمرأة الصيدلانية إلهام التي وقعت ضحية مراوغة رجل ديني النبرة فاسد السلوك، وزينب الجارية في" الخواجة والجارية "التي تحولت من موضوع للبيع والشراء إلى ذات مُطالِبة بحقوقها، تقدّم المجموعة طيفاً واسعاً من النماذج النسائية. وإن كانت بعض الشخصيات النسائية تبدو مبنية على نمطية مُبسَّطة، إلا أن الكاتب يكشف في مجمله وعياً بأن تحرير المرأة من الأزمة لا يكتمل دون تحرير المجتمع من بنيته الذكورية المتجذّرة.

.4البعد الديني والرؤية الإيمانية للأزمة

يُشكّل البُعد الديني خيطاً رابطاً بين نصوص المجموعة جميعها، وإن جاء بدرجات متفاوتة من الصراحة والتضمين. فعنوان المجموعة ذاته" حتى يحبك الله "يحمل إحالة قرآنية صريحة، ويُلمّح إلى أن الجائحة ليست مصيبة عمياء بل محطة تهذيبية وجدانية قد تُفضي في نهاية المطاف إلى نيل حب الله. ويُعبّر الكاتب عن هذه الرؤية في مقدمته حين يُشير إلى "سفينة الأخلاق "التي لا تلوح في الأفق البعيد.

ويتجلى البُعد الديني في عدة مظاهر نصية: عودة الشخصيات إلى الصلاة وقراءة القرآن في لحظات الأزمة (مروان، حسين، صافي)، والمواجهة بين النمط الديني الشكلاني (رفاعي في" مآرب وقحة"، وبركات في" النفس الأمارة (" والالتزام الجوهري بالقيم الإنسانية، ودعاء الأبناء للوالدين المتوفين وعلاقة الحياة بالحساب الأخروي.

خامساً: الأساليب السردية وتقنيات الكتابة

.1التعددية الصوتية والرؤية السردية

تعتمد المجموعة في معظمها راوياً عليماً (omniscient narrator) يتحرك بحرية بين وعي الشخصيات المختلفة، مما يتيح للقارئ أن يرى الأحداث من زوايا متعددة. وفي بعض القصص يتحول الراوي إلى راوٍ محايد يترك للقارئ حرية الحكم على الشخصيات. وهذه التعددية الصوتية تُسهم في بناء صورة سردية ثرية لمجتمع مُعقّد يواجه وباءً مُعقّداً.

.2الحوار بوصفه آلية كاشفة

يحتلّ الحوار حصة كبيرة من نسيج هذه القصص، وكثيراً ما يكون الحوار المكان الذي تُكشف فيه الهويات الحقيقية للشخصيات. ففي الحوارات بين مروان والدكتور حاييم يتكشّف التدريجي عن وجه الاستغلال والفساد المتسترّين بالعلم. وفي حوارات هادي مع أبيه المحتضر، يكتمل أفق تحوّل الشخصية من الانتهازية إلى الاستفاقة الضمير. وقد وفّق الكاتب في بناء حواراته لتكون سلسة طبيعية بعيدة عن التكلّف، مع احتفاظها بثقل دلالي كافٍ.

.3المفارقة الساخرة(Irony)

تُشكّل المفارقة السردية من أكثر الأدوات الفنية توظيفاً في المجموعة؛ ففي" النفس الأمارة"، الحاج بركات الذي يُمثّل نموذج التديّن والورع في الفضاء العام هو من علّم ابنه ضمنياً أنماط الفساد المتسترة بالمظهر الديني. وفي" مآرب وقحة"، يحصل رفاعي الكسول المحتال على شهادة الاعتماد ويتجوّل بها بين المستشفيات بوصفه" صانع المجد ."وقد استثمر الكاتب هذه المفارقة جيداً لتوصيل رسائله النقدية دون خطابية مباشرة.

.4القصة التاريخية والمقارنة الزمنية

تبرز قصة" الخواجة والجارية "بوصفها استثناءً أسلوبياً في المجموعة، إذ تنقل القارئ إلى مصر القرن التاسع عشر في زمن طاعون مستشرٍ، وتستحضر شخصية جيرار دي نرفال الشاعر الفرنسي الحقيقي الذي زار مصر عام ١٨٤٣. هذا التوظيف التاريخي يُعدّ استراتيجية سردية ذكية تجعل من الأوبئة ظاهرة متكررة في التاريخ الإنساني، وتُكرّس مقولة أن الطبع الإنساني أمام المحن لم يتغيّر كثيراً، وأن المجتمعات تواجه نفس التناقضات بين الحداثة والتقاليد، بين الحرية والرق بمعانيه المتعددة.

سادساً: قراءة نقدية في المواطن والإشكاليات

.1المواطن الإبداعية اللافتة

تتميّز المجموعة بعدة مزايا فنية جديرة بالتسجيل والإشادة: أولها الجرأة في انتقاد البنى المؤسسية المهنية في القطاع الصحي والجامعي، إذ لا يُميّع الكاتب الواقع بأقنعة المجاملة، بل يرسم صوراً مُوجعة لفساد منظومي راسخ. وثانيها الدقة العلمية في وصف أعراض كوفيد-١٩ وبروتوكولات العلاج والجودة الطبية، مما يجعل المجموعة وثيقة زمنية دقيقة المصطلحات والتفاصيل. وثالثها قدرة الكاتب على رصد نماذج بشرية بالغة التنوع الجغرافي والاجتماعي والمهني مما يُضفي على المجموعة طابعاً بانورامياً واسع الأفق.

.2الملاحظات النقدية

لا تخلو المجموعة في المقابل من ملاحظات نقدية منهجية تستحق الإشارة: فبعض النهايات تبدو ميّالة إلى الاستعجال، كنهاية هادي في" النفس الأمارة "التي تُقدّم التحوّل النفسي في وتيرة أسرع مما تسمح به منطق الشخصية التراكمية. وثمة ميل في بعض القصص إلى الخطابية المعلنة بدلاً من ترك القيم تتجلى عبر الأحداث ضمنياً، وهو ما يُقلّص من الأثر الجمالي في بعض المقاطع. كما أن التباين في الجودة الأدبية بين نصوص المجموعة ملحوظ، إذ تبدو بعض القصص أكثر نضجاً وصقلاً من غيرها.

على صعيد الفنيات السردية، كان بإمكان الكاتب أن يُعمّق التباسَ الشخصية في بعض النماذج بدلاً من الميل إلى ثنائية الشخص الطيب والشخص الفاسد، إذ إن الواقع الإنساني أشد تعقيداً وتداخلاً. كذلك تستحق بعض الشخصيات النسائية قدراً أكبر من الإمكانات السردية المستقلة غير المرتبطة حصراً بعلاقتها بالرجل أو الأزمة.

سابعاً: الجائحة بوصفها استعارة كبرى للإصلاح الحضاري

إن قرأنا المجموعة بمجملها، تجلّى لنا أن الدكتور عبد العال لا يكتب عن كوفيد-١٩ فحسب، بل يستعين بالجائحة استعارةً كبرى أوسع من حدودها الطبية؛ فالوباء الحقيقي في نظره هو ذلك الوباء الأخلاقي المتجذّر في المجتمعات العربية: وباء الفساد الإداري، ووباء الكسل المتسترة بالمظهر الديني، ووباء استغلال الإنسان لأخيه الإنسان، ووباء الزبونية التي تُفني الكفاءة.

وبهذا المعنى تنتسب المجموعة إلى تيار أدبي عريق يرى في الكارثة الطبيعية أو الوبائية مرآةً للكارثة الأخلاقية، وإن كان عبد العال يُضيف بُعداً مغايراً يتمثّل في الأمل والتطلع إلى المآلات التطهيرية. فخلافاً للنزعة العبثية الكامية التي ترى في

الوباء عبثاً يجرّد الإنسان من المعنى، يُقدّم الكاتب المصري رؤية إيمانية متفائلة – وإن كانت انتقائية في بعض الأحيان – ترى في الابتلاء فرصةً للارتقاء إذا ما آمن الإنسان وأحسن الاستجابة.

وعنوان المجموعة" حتى يحبك الله "يتضمن هذه الجدلية بإتقان: المحبة الإلهية ليست هبةً مجانية، بل هي غاية تُبلغها المحن.

وبذلك يربط الكاتب بين البُعد الديني الإيماني والبُعد الأخلاقي الإنساني في رؤية متكاملة تجعل من الجائحة لحظة كونية فارقة يُمكن أن تُقرّب الإنسان من الله ومن أفضل ما فيه، أو أن تُغرقه أعمق في فساده إن اختار الجحود.

ثامناً: الخاتمة

خلص هذا البحث إلى جملة من النتائج الجوهرية في قراءته النقدية لمجموعة" حتى يحبك الله:"

أولاً: تُمثّل المجموعة إسهاماً جاداً في أدب الأزمات العربي المعاصر، إذ تجمع بين الشهادة التوثيقية والرؤية الجمالية والانشغال الأخلاقي في نسيج سردي متماسك.

ثانياً: نجح الدكتور عبد العال في توظيف خلفيته المهنية الصيدلانية لإثراء نصه بتفاصيل علمية ومهنية دقيقة تُميّز هذه المجموعة عن سواها من الكتابات الأزماتية ذات الطابع العاطفي المجرّد.

ثالثاً :الجائحة في هذه المجموعة ليست مجرد حدث تاريخي موثّق بل استعارة سردية كبرى تُجلّي التناقضات الاجتماعية والأخلاقية الكامنة في المجتمع العربي.

رابعاً: تنطوي المجموعة على رؤية فلسفية إيمانية تُقدّم الأزمة بوصفها محطة ابتلاء وتطهير وفرصة للعودة إلى الجوهر الإنساني والإيماني، وهي رؤية تُكسب النصوص بُعداً وجودياً يتجاوز الراهن الزمني للجائحة.

خامساً: تستحق هذه المجموعة مزيداً من الدراسات النقدية المتخصصة من زوايا متعددة كالنقد النسوي وأدب المهن وسوسيولوجيا الأدب وسردية الصدمة، مما سيُسهم في تعميق فهمنا لهذا النص الثري وللمرحلة التاريخية التي أنتجته.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الأساسية

عبد العال، محمد فتحي. (٢٠٢١). حتى يحبك الله [مجموعة قصصية]. [مصر].

ثانياً: المراجع النقدية والنظرية

إيغلتون، تيري .(2017) .مقدمة في نظرية الأدب. ترجمة أحمد حسان. المركز القومي للترجمة، القاهرة.

بارت، رولان .(2014) .لذة النص. ترجمة منذر عياشي. المركز الثقافي العربي، بيروت.

جيمسون، فريدريك. (٢٠١٢). المنطق الثقافي للرأسمالية المتأخرة. ترجمة ثائر ديب. دار الحوار، اللاذقية.

حمداوي، جميل .(2015) .السرديات وتحليل الخطاب السردي. منشورات إتحاد المغرب العربي.

رضا، إبراهيم .(2019) .أدب الأزمات في الرواية العربية المعاصرة. مجلة فصول، العدد ١٠٧.

سعيد، إدوارد .(2010) .الثقافة والإمبريالية. ترجمة كمال أبو ديب. دار الآداب، بيروت.

كامو، ألبير .(2008) .الطاعون. ترجمة عبد القادر صحراوي. منشورات الجمل، بيروت.

مرتاض، عبد الملك. (٢٠١٦). في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد. دار المعارف، القاهرة.

ميزراحي، نورا .(2020) .الأدب العربي في زمن كوفيد-١٩: خارطة مبدئية. مجلة الآداب، العدد ١٣١، بيروت.

نجم، محمد يوسف. (١٩٦٦). فن القصة. دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت.

ثالثاً: المراجع الأجنبية

Camus, A. (1947). La Peste. Gallimard, Paris.

DeFoe, D. (1722). A Journal of the Plague Year. London.

Eagleton, T. (2008). Literary Theory: An Introduction. Blackwell Publishing, Oxford.

García Márquez, G. (1985). El amor en los tiempos del cólera. Oveja Negra, Bogotá.

Genette, G. (1980). Narrative Discourse: An Essay in Method. Cornell University Press, New York.

Jameson, F. (1981). The Political Unconscious: Narrative as a Socially Symbolic Act. Cornell University Press.

Sontag, S. (1978). Illness as Metaphor. Farrar, Straus and Giroux, New York.

البحث الثالث

جدلية العقل والوجدان: تجليات الفكر الصيدلانى فى التشكيل الإبداعى عند محمد فتحى عبد العال
المجموعة القصصية "استروبيا" نموذجاً

ملخص البحث

يتناول هذا البحث ظاهرة أدبية لافتة تتمثل في توظيف الخلفية المعرفية الصيدلانية والطبية أداةً للتشكيل الإبداعي في المجموعة القصصية "استروبيا" للكاتب المصري د. محمد فتحي عبد العال، الصادرة عن دار ديوان العرب للنشر والتوزيع عام ٢٠٢٣م. ويسعى البحث إلى الكشف عن جدلية العقل والوجدان بوصفها محوراً بنائياً ودلالياً في النص الأدبي، من خلال رصد تجليات المعرفة الصيدلانية في بنية السرد، وتشكيل الشخصية، وصياغة الرؤية الاجتماعية، والتعبير عن الأزمات الإنسانية. وقد اعتمد البحث المنهج التكاملي الجامع بين التحليل النصي والمقاربة الاجتماعية والسيميائية السردية. وخلص البحث إلى أن الكاتب نجح في تأسيس نموذج إبداعي متميز يُوظّف العلم خادماً للأدب دون أن يطغى أحدهما على الآخر، محققاً توازناً دقيقاً بين الدقة المعرفية والعمق الوجداني.

الكلمات المفتاحية: الأدب والعلم، الصيدلة في الرواية، السرد الاجتماعي، استروبيا، محمد فتحي عبد العال، جدلية العقل والوجدان.

Abstract

This research examines a notable literary phenomenon represented in the use of pharmaceutical and medical knowledge as a tool for creative construction in the short story collection "Astroopia" by Egyptian writer Dr. Muhammad Fathi Abd Al-Aal, published by Diwan Al-Arab Publishing House in 2023. The research seeks to reveal the dialectic between reason and emotion as a structural and semantic axis in the literary text, through monitoring the manifestations of pharmaceutical knowledge in narrative structure, character formation, social vision formulation, and expression of human crises. The research adopted an integrative methodology combining textual analysis, social approach, and narrative semiotics. The research concluded that the writer succeeded in establishing a distinctive creative model that employs science as a servant to literature without one dominating the other, achieving a delicate balance between cognitive precision and emotional depth.

Keywords: Literature and Science, Pharmacy in Fiction, Social Narrative, Astroopia, Muhammad Fathi Abd Al-Aal, Dialectic of Reason and Emotion.

أولاً: مدخل نظري - الأدب والعلم: جدل خصب لا تناقض

دأب النقد الأدبي الحديث على استحضار ثنائية الأدب والعلم في سياق التضاد والتباين، حتى غدت هذه الثنائية من أكثر الإشكاليات ترسخاً في الوعي النقدي الغربي، ولعل مقالة سي. بي. سنو الشهيرة "الثقافتان" (١٩٥٩م) تمثل الصياغة الأكثر حدةً لهذا التناقض المزعوم حين ميّز بين ثقافة العلماء وثقافة الأدباء بوصفهما عالمين منفصلين لا يكاد يجمع بينهما جامع. غير أن التاريخ الأدبي يشهد بنماذج ثرية تفنّد هذا الاتجاه الفاصل، وتؤكد أن الكتابة الإبداعية حين تصدر عن عقل علمي مشبع بالمعرفة التخصصية تنتج نصوصاً مغايرة في بنيتها ورؤيتها وطاقتها التعبيرية. وفي هذا الإطار يمكن استحضار تجارب الكاتب التشيكي كاريل تشابيك (١٨٩٠-

١٩٣٨م) الصيدلاني الذي أثرى الخيال العلمي، وميخائيل بولغاكوف (١٨٩١-١٩٤٠م) الطبيب الذي أسّس لأدب قلّ نظيره في التعبير عن معاناة الإنسان وتحولات المجتمع.

وعلى المستوى العربي، ثمة تقليد راسخ يجمع بين الكفاءة العلمية والإبداع الأدبي، فالدكتور يوسف إدريس (١٩٢٧-١٩٩١م) الطبيب كتب قصصه الأولى وهو طالب بكلية الطب، وأفادت قصصه من ملاحظاته الطبية الدقيقة لأحوال الفقراء والمرضى. وكذلك حنا مينة (١٩٢٤-٢٠١٨م) الذي تعمّق في وصف الأمراض والمعاناة الجسدية بدقة تكاد تكون سريرية. ومع ذلك يبقى توظيف المعرفة الصيدلانية تحديداً ظاهرة نادرة في الأدب العربي، إذ نادراً ما يتجاوز الصيدلاني مكانة المساعد الصامت في الرواية الطبية إلى أن يغدو هو نفسه المبدع المنتج للنص. ومن هنا يكتسب مشروع د. محمد فتحي عبد العال أهميةً خاصة في خارطة الأدب العربي المعاصر.

ثانياً: التعريف بالمجموعة والكاتب

د. محمد فتحي عبد العال كاتب وباحث مصري من مواليد الزقازيق محافظة الشرقية عام ١٩٨٢م، يحمل بكالوريوس الصيدلة من جامعة الزقازيق (٢٠٠٤م)، وماجستير في الكيمياء الحيوية (٢٠١٤م)، فضلاً عن دبلومات متعددة في الميكروبيولوجيا التطبيقية وإدارة الجودة الطبية الشاملة والدراسات الإسلامية. هذا التنوع المعرفي الاستثنائي يجعله نموذجاً فريداً للمثقف الموسوعي الجامع بين العلوم الدقيقة والإنسانية.

صدرت مجموعة "استروبيا" (٢٠٢٣م) عن دار ديوان العرب للنشر والتوزيع، وتضم ست قصص طويلة وقصتين قصيرتين جداً. وقد اختار الكاتب هذا العنوان المركّب بما يحمله من دلالات الانحراف والضياع والإهدار، مؤسساً بذلك لرؤية كلية تنظر إلى الواقع الاجتماعي المصري المعاصر نظرة نقدية متأنية. وقد صدّر الكاتب مجموعته بمقولة منسوبة إلى نابليون بونابرت: "أنا محاط بمجموعة كهنة، يرددون باستمرار أن الدنيا ليست دارهم؛ ومع ذلك يضعون أيديهم على كل شيء يستطيعون الوصول إليه"، وهي مقولة كاشفة لثيمة التناقض بين الخطاب والسلوك التي تنسج القصص جميعها.

ثالثاً: تجليات الفكر الصيدلاني في البنية السردية

1.التوظيف الاصطلاحي وبناء المصداقية النصية

تعدّ المصطلحية التقنية إحدى أبرز السمات الأسلوبية التي تميز نصوص عبد العال عن غيرها من النصوص القصصية التي تتناول البيئة الطبية. ففي قصة "الغاية والوسيلة" التي تدور أحداثها في مستشفى استثماري، يستحضر الراوي منظومة كاملة من المصطلحات المتخصصة بدقة علمية تامة: "اعتماد المؤهلات المطلوبة للقبول بالوظيفة(Credentials) ، والإمتيازات السريرية(Clinical Privileges) ، والخبرات العملية "(Experiences)، وكذلك مصطلح "Benchmarking" أي مقارنة المستشفى وخدماتها ومؤشرات الأداء. ولا تقف المصطلحية عند هذا الحد، بل تمتد إلى مصطلحات السلامة المرضية Patient Safety)" : Leadership WalkRounds (PSLWs) on patient safety culture (PSC))"، وجلان المستشفى.(Hospital Committees)

هذه المصطلحية ليست زينةً أسلوبية أو استعراضاً للمعرفة، بل هي بنية دلالية ذات وظيفة محددة؛ إذ تخلق فجوة واضحة بين المعايير المهنية المعلنة وبين الواقع الذي ترسمه القصة. يقول الراوي عن صاحب المستشفى الشيخ عاصم: "مسائل اعتماد المؤهلات المطلوبة للقبول بالوظيفة... لا تدخل كمعايير انتقاء، وعلى حد قوله: لا تدخل في ذمته بنكلة." وهكذا يتحول المصطلح العلمي من وصف للمعيار المنشود إلى كاشف للانحراف الموجود، في مفارقة دلالية حادة.

وفي قصة "حد السيف" يواجه الراوي قضية معقدة تتعلق باستخدام "Cefazolin" المضاد الحيوي من الجيل الأول للسيفالوسبورينات في العمليات الجراحية للوقاية من العدوى(Prophylaxis) ، في مواجهة من يريد استبداله بـ "Ceftriaxone"من الجيل الثالث لأسباب مالية بحتة. والأكثر إثارةً أن الكاتب لا يكتفي بذكر المشكلة، بل يشرح فلسفة مكافحة العدوى التي ترمي من وراء ذلك إلى تضييق استخدام المضادات الحيوية بشكل عشوائي يُفقدها كفاءتها، مشيراً إلى ظاهرة المقاومة المضادة للميكروبات (Antimicrobial resistance).ولعل في هذا انعكاساً لهم حقيقي يشغل الصيدلاني المؤلف، يتجاوز مجرد توظيف المعرفة التقنية لغرض سردي.

2.نموذج الجبن السويسري وتحليل الأخطاء الطبية

يمثل توظيف مفهوم "نموذج الجبن السويسري (Swiss Cheese Model) "في قصة "الغاية والوسيلة" نموذجاً بليغاً على عمق التوظيف العلمي في النص الأدبي. فحين يتناول الراوي حادثة إعطاء الدواء الخطأ للمريض الخطأ، يستدعي هذا النموذج المستخدم في تحليل أخطاء الجودة الطبية، موضحاً كيف أن العيوب الكامنة (Latent Failures) في المنظومة هي التي تفسح المجال لظهور الأخطاء الظاهرة. يقول الراوي:
"اتضح منه أن المستشفى هي التمثيل الحي والمجسد لما يسمى في الجودة نموذج الجبن السويسري (Swiss Cheese Model)للتنبؤ بمواضع الخلل أو العيوب الكامنة".

هذا التوظيف يكشف عن وعي أعمق من مجرد معرفة المصطلح؛ إذ يتحول نموذج الجودة من أداة إدارية إلى عدسة تفسيرية للظاهرة الاجتماعية ككل. فالمستشفى الذي يصفه الراوي لا يمثل مجرد مرفق صحي يعاني من قصور في الجودة، بل يغدو مثالاً للمؤسسة التي تطغى فيها مصالح المالك على حساب سلامة المرضى، وهو ما يعيد الكاتب إلى المعنى الكلي للعنوان "استروبيا" بما يعنيه من ضياع وانحراف.

وقد ذهب الكاتب أبعد من ذلك حين وصف بتفصيل دقيق آلية وقوع الخطأ: المريض الذي جاء إلى عيادة الجلدية وأعطي وصفة بالكريمات والدواء الفموي، ثم مر على صيدلية العيادات الخارجية، فتسلمها الصيدلاني الوحيد ووضعها في قائمة الانتظار، وحين طال الانتظار أعطاه وصفة باطنية بالخطأ تخص مريضاً آخر. هذه الآلية السردية الدقيقة تنبع من المعرفة الميدانية بالبيئة الصيدلانية، وتتجاوز مجرد الوصف الخيالي إلى ما يشبه التقرير الإكلينيكي المحكوم بالمنطق السببي.

3.الفحص المزدوج وقضايا سلامة المرضى

في سياق نقد المنظومة الصحية، يرصد الراوي غياب "الفحص المزدوج بواسطة اثنين من الصيادلة بشكل منفرد (Independent Double Check) قبل الصرف أو تقديم النصح الطبي"(Counselling) ، وغياب ضمان "خصوصية المرضى (Privacy) خاصة النساء منهم"، وكذلك "سرية الملفات والوثائق الطبية (Confidentiality)." هذه المنظومة من المعايير المهنية المنتهكة تشكّل نسيجاً اتهامياً متسقاً، يتجاوز نقد شخصية بعينها ليصوّب نحو منظومة كاملة يغيب فيها الضمير المهني.

والجدير بالملاحظة أن الكاتب لا يوظف هذه المعطيات العلمية للإدانة الخطابية المباشرة، بل يتركها تنبثق من داخل الأحداث نبثاقاً طبيعياً، وكأنها تفاصيل واقعية لا أكثر. وهذا الأسلوب يعكس وعياً روائياً ناضجاً يدرك أن المعلومة في النص الأدبي يجب أن تخدم الدراما لا أن تحل محلها.

رابعاً: الشخصية بين الكفاءة والفساد - نماذج تحليلية

1.الصيدلاني وديع: من الكفاءة إلى التواطؤ

تشكّل شخصية "وديع" في قصة "الغاية والوسيلة" النموذج الأكثر تعقيداً في المجموعة من حيث علاقة المهنة بالشخصية. فوديع الشاب السوري القادم من الرقة للعمل في القاهرة يمثل الكفاءة الطامحة التي يحكم عليها الواقع الفاسد إما بالاستسلام أو بالمغادرة. وهو يختار في البداية الاستسلام حين يجد نفسه شاهداً على كل مخالفات الشيخ عاصم ثم شريكاً فيها من نوع آخر حين يسخّر مكانته المكتسبة لمصالحه الخاصة قبل أن يفر إلى كندا.

ما يلفت الانتباه أن الكاتب لا يرسم وديعاً شريراً من البداية، بل يتيح للقارئ أن يرى كيف تحوّلت الظروف المهنية القاسية والفساد المنظم شخصاً ذا كفاءة حقيقية إلى متواطئ. وهذا التحول المدروس لا يقل أهمية عن الإدانة المباشرة، بل يفوقها عمقاً، لأنه يكشف عن الآليات الاجتماعية التي تنتج الفساد لا عن الفساد في ذاته.

2.الدكتور مغربي: جدل السلطة المعرفية والقيم الإنسانية

تقدم قصة "حد السيف" نموذجاً مركباً لشخصية الدكتور "مغربي" مدير الصيادلة ورئيس قسم الجودة. وهو نموذج يستحق وقفة تحليلية مطوّلة، إذ يجمع الكاتب بين مستويين متناقضين في هذه الشخصية: الكفاءة المهنية الحقيقية الموثقة بشهادات أكاديمية متميزة، والطغيان السلوكي في التعامل مع المرؤوسين.

يكشف الراوي أن مغربي كان "بمثابة الماركة المسجلة بكثير من الكورسات الصيدلانية المطلوبة ضمن اشتراطات الاعتماد والجودة"، وأنه حين رصد تلاعب المدير الصيدلاني سيد سنباطي في بروتوكول المضادات الحيوية فعل ذلك بدقة مهنية عالية. وهذه الكفاءة حقيقية لا يشكك فيها الراوي. غير أن الكاتب لا يترك مغربياً في هذه المنطقة المريحة، بل يصوّره طاغية في علاقاته الإنسانية: يمنع الإجازات بصورة تعسفية، ولا يتحمل

النقاش، ويُسقط حديث أحد الصيادلة عن قضايا حقيقية متعلقة بسلامة المرضى لمجرد أن المتحدث لم يقم احتراماً لمروره.

وفي مشهد لافت يستدعي الكاتب حديثاً نبوياً شريفاً رواه الترمذي وصحّحه الألباني حول أن الصحابة كانوا إذا رأوا النبي صلى الله عليه وسلم لم يقوموا له "لما يعلمون من كراهيته لذلك"، وهو حديث يورده الصيدلاني الجسور رداً على مغربي الذي اعترض على محادثة من يجلس دون قيام. وهذا التوظيف النصي الديني في سياق المواجهة المهنية يفتح أفقاً تأويلياً واسعاً حول علاقة السلطة والكرامة والمعرفة.

ما يبرع الكاتب في رسمه هنا هو أن مغربياً في حياته الخاصة يعاني من انكسارات إنسانية موجعة لا يستطيع قسوته المهنية أن تحميه منها، ليقول الكاتب بطريقة غير مباشرة إن القسوة المهنية في مواجهة الضعفاء ليست قوة حقيقية بل هي تعويض عن عجز دفين.

.3الصيدلاني كمؤرخ: شخصية وافي في قصة "بنت ابن بارم ديله"
تقدم قصة "بنت ابن بارم ديله" نموذجاً مختلفاً للشخصية الصيدلانية؛ إذ يظهر "وافي" المؤرخ في مواجهة "إحسان هانم" المخرجة المتبجحة بنسبها وصانعة المحتوى التاريخي المزيف. وهنا يتجلى بُعد آخر من أبعاد الشخصية الصيدلانية عند الكاتب، وهو البُعد المعرفي الأكاديمي المتحقق من الحقيقة والرافض للتزوير.

وافي هو شخصية تحمل صفات الصيدلاني العلمي التدقيقي في الوثيقة التاريخية: يبحث في سجلات جامعة هارفارد، ويفتش في إعلانات أرشيف الصحافة المصرية، ويقلّب في بطاقات مرسلة عبر ميناء بورسعيد. وحين يكتشف احتمال التزوير يفكر في ثلاثة احتمالات لا رابع لها بأسلوب استنتاجي علمي يذكّر بأسلوب شارلوك هولمز وإن تجلّى في سياق تاريخي لا جنائي. وهذه القدرة على التفكير المنهجي في مواجهة الغموض هي سمة العقل العلمي التي يُسقطها الكاتب على شخصياته الأكثر تعقيداً.

خامساً: الرؤية الاجتماعية وأزمة القيم المهنية
.1المستشفى الاستثماري رمزاً للمجتمع المنكوب
يتجاوز توظيف الكاتب للبيئة الصيدلانية والطبية وظيفته الوصفية والإعلامية ليغدو رمزاً لحالة اجتماعية أشمل. فالمستشفى الاستثماري الذي يديره الشيخ عاصم في قصة "الغاية والوسيلة" هو في جوهره نموذج مصغّر للمؤسسة التي تفقد رسالتها وتتحول إلى آلة لتحقيق الربح، والسلامة المهنية قيمة مُعلنة لا يكاد يؤمن بها صاحبها فعلاً.

ويُرسّخ الكاتب هذه الدلالة حين يصف كيف كان الشيخ عاصم "يتلاعب في مثل هذه الأمور ويضع الهيكل التنظيمي للصيدلية (Organization Chart) على غير الحقيقة"، مستغلاً وجود تراخيص لصيادلة سابقين رحلوا "من زمن مضى وفاتوا." وهذا الوصف الدقيق لآلية التحايل على الأنظمة يكشف عن معرفة ميدانية حقيقية بطبيعة الفساد المؤسسي وأساليبه.

.2التناقض بين الخطاب والسلوك: ثيمة استروبيا الكبرى
تتخلل المجموعة كلها ثيمة جوهرية هي التناقض بين الخطاب المعلن والسلوك الفعلي، وهي ثيمة يُعبّر عنها عنوان المجموعة نفسه بما ينطوي عليه من دلالة الانحراف والتشويه. فالشيخ عاصم يتحدث عن معايير الجودة ويتلاعب بالهياكل التنظيمية. والشيخ المستكاوي يُلقي خطبة الجمعة ويخادع النساء عبر شبكاته الإلكترونية. ومغربي يعلّم معايير الجودة ويرفض أن يتساءل أحد عن أسبابها.

وهذه الثيمة حين تُدرس من زاوية الخلفية المهنية للكاتب تكتسب دلالة إضافية؛ إذ إن مهنة الصيدلة تقوم بالأساس على مبدأ "أولاً لا ضرر (Primum non nocere) "وعلى الدقة في اتباع البروتوكولات والمعايير. ومن هذه المنطلق فإن الانحراف عن البروتوكول ليس خطأً مهنياً فحسب، بل هو في نظر الصيدلاني المؤلف انهيار للمبدأ الأخلاقي الأساس، وهذا ما يفسر الغضب الأخلاقي الحقيقي الذي يتشرب به السرد حتى حين يتخذ طابعاً هادئاً وسردياً.

.3المعرفة الصيدلانية وتفكيك النفاق الاجتماعي
تتجلى إحدى أبرز سمات الكاتب في قدرته على توظيف المعرفة الطبية أداةً لتفكيك النفاق الاجتماعي والكشف عن الزيف. ففي قصة "حد السيف" حين يصف الكاتب "سيد سنباطي" المدير الصيدلاني الوقور الذي "تتوسط

رأسه الزبيبة الكبيرة ومن الحريصين على أداء الصلاة في جماعة بكل خشوع وخضوع حتى يخرج ذيل قميصه من بنطاله"، ثم يتتبع بعد ذلك آليات تحايله على البروتوكولات الطبية لتحقيق مكاسب مالية، فإن هذا التضاد ليس مجرد مشهد ساخر، بل هو تشريح نفسي اجتماعي دقيق يكشف عن البنية العميقة للشخصية المنافقة.

سادساً: الخصائص الأسلوبية للنص الصيدلاني

1. المصطلح الأجنبي في النص العربي: توتر وظيفي خلاق

يلجأ الكاتب بكثافة إلى إيراد المصطلحات العلمية بالأبجدية اللاتينية داخل النص العربي، مما يخلق توتراً بصرياً ولغوياً مقصوداً. وهذا التوتر يوحي بالهوّة بين معايير العالم المتحضر التي تمثلها هذه المصطلحات وبين الواقع المحلي الذي تصوّره القصص. وفي الوقت ذاته يُجسّد هذا التوتر اللغوي الازدواجية التي يعيشها المهني العربي بين التدريب الغربي والسياق الاجتماعي المحلي.

2. السرد التقريري والإيقاع الطبي

يتسم سرد الكاتب في المشاهد الطبية بإيقاع تقريري تصاعدي يذكّر بالكتابة الطبية التوثيقية: فعل، نتيجة، تقييم. وهذا الإيقاع يخلق إحساساً بالحتمية والمنطق السببي، وكأن الأحداث لا تجري بالمصادفة بل تنتج بعضها بعضاً بدقة آلية. وهو ما يتناغم مع الرؤية الكلية للمجموعة التي تنظر إلى الأزمات الاجتماعية لا بوصفها حوادث عرضية بل بوصفها نتائج حتمية لأسباب هيكلية.

3. الهامش المعرفي والمتن الأدبي

يلجأ الكاتب أحياناً إلى توظيف شروحات تقنية مبثوثة داخل المتن السردي، مما يجعل النص يتأرجح بين الرواية والمقالة العلمية. وهذا الأسلوب وإن كان يمثل تحدياً سردياً في بعض المواضع حيث يبدو كسر الإيقاع القصصي مفاجئاً إلا أنه يكشف عن هاجس تعليمي إعلامي حقيقي يسكن الكاتب العالِم في موازاة الكاتب الأديب.

سابعاً: ملامح التشكيل الجمالي في المجموعة

1. التناص التاريخي وعلاقته بالمعرفة الموسوعية

تفيض قصص المجموعة بإشارات تاريخية دقيقة تكشف عن سعة اطلاع موسوعي. فقصة "بنت ابن بارم ديله" تستدعي المقريزي وتاريخ الجبرتي وأوراق الجهة الإدارية للحزب الوطني وتفاصيل معتقل هاكستب ١٩١٥م والأمير بروك وحكم ساراواك وقصة الأميرة "ديانغ مودا" البورنيوية. وهذا الثراء المعرفي التاريخي يوازي الثراء المعرفي العلمي في قصص أخرى، مما يؤكد أن الكاتب لا يتوقف عند حدود تخصصه بل يتخذه منطلقاً نحو آفاق معرفية أرحب.

2. الوجدان في مواجهة البرودة السريرية

ثمة مفارقة جمالية عميقة تسم المجموعة كلها، تتمثل في اجتماع اللغة العلمية الباردة الدقيقة واللغة الوجدانية الحارة المتعاطفة في نص واحد. فحين يصف الكاتب معاناة المريض الذي أُعطي الدواء الخطأ لا يكتفي بوصف الأعراض والمضاعفات الطبية، بل يتعاطف مع وجع هذا المريض الفقير غير المتعلم الذي "أخذ الدواء في صمت ولم يخاجله شك في أي شيء." هذه المفارقة بين اللغة التقنية والنبضة الإنسانية هي ما يمنح نص عبد العال طابعه الخاص غير القابل للتصنيف السهل.

3. الخاتمات المفتوحة والأسئلة المعلقة

تتميز معظم قصص المجموعة بخواتم مفتوحة تترك القارئ في حالة من التأمل لا الاطمئنان. فوديع يفر إلى كندا لكن دون إجابة عن مصير المنظومة الفاسدة. ومغربي يعود إلى بيته حاملاً التورتة لابنتيه لكن أزماته الإنسانية لم تُحل. وهذا الانفتاح ليس تردداً أو قصوراً بل هو اختيار فني واع يجعل النص محرضاً على التفكير لا مجرد حكاية مسلية.

ثامناً: حدود الدراسة وإشكالياتها

1. التوازن بين المعرفة والإبداع

لا يخلو نص الكاتب من مناطق توتر بين المعرفة التقنية والضرورة الفنية. ففي بعض المواضع تبدو الشروحات العلمية ثقيلة على إيقاع القصة، لا سيما حين تتداخل مع الحوار أو تقاطع سير الأحداث. وهذه

إشكالية تواجه عموم الكتاب العلميين الذين يتحولون إلى الأدب، ويبدو أن الكاتب مدرك لها إلى حد بعيد محاولاً التخفيف منها.

2.التوثيق المرجعي

تستدعي دقة التوثيق الأكاديمي في بعض الأحيان التحقق من المعلومات التاريخية المبثوثة في النصوص، ومن الاقتباسات الواردة من مصادر متعددة. وقد بدا واضحاً أن الكاتب بذل جهداً توثيقياً حقيقياً، وإن كان الجانب الإبداعي يمنحه هامشاً من الحرية في التعامل مع هذه المادة.

تاسعاً: خلاصة النتائج

توصل البحث إلى جملة من النتائج يمكن إجمالها في الآتي:

أولاً: تُمثل مجموعة "استروبيا" نموذجاً فريداً في الأدب العربي المعاصر لتوظيف المعرفة الصيدلانية والطبية توظيفاً عضوياً في بنية النص الإبداعي، يتجاوز مجرد توفير الخلفية الوظيفية إلى الإسهام في تشكيل الرؤية والأسلوب والبنية الدلالية.

ثانياً: تتجلى جدلية العقل والوجدان في المجموعة من خلال ثلاثة مستويات: مستوى اللغة (التناوب بين المصطلح التقني والتعبير الوجداني)، ومستوى الشخصية (تقديم الكفاءة المهنية في تناقض مع الأزمة الإنسانية)، ومستوى الرؤية (نقد المنظومة الاجتماعية من خلال المعيار المهني الغائب).

ثالثاً: يوظف الكاتب المصطلح العلمي بوعي فني ليكون أداة تفكيك لا مجرد زينة أسلوبية، إذ تتحول الفجوة بين المعيار المعلن والواقع المعاش إلى محرك درامي أساسي.

رابعاً: تكشف المجموعة عن رؤية اجتماعية نقدية متماسكة تنظر إلى الفساد المؤسسي لا بوصفه انحرافاً فردياً بل بوصفه نتاجاً لمنظومة هيكلية غائب عنها الضمير المهني والرقابة الفاعلة.

خامساً: يُسهم نص الكاتب في تأسيس "أدب الصيدلة" بوصفه نوعاً فرعياً ذا خصائص مميزة في الأدب العربي، على غرار "أدب الطب" و"أدب القانون" اللذين يمتلكان تقاليد أكثر رسوخاً.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

عبد العال، محمد فتحي. استروبيا: مجموعة قصصية. مصر، بورسعيد: دار ديوان العرب للنشر والتوزيع، ٢٠٢٣م.

ثانياً: المراجع العربية

إبراهيم، نبيلة. أشكال التعبير في الأدب الشعبي. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر، ١٩٨١م.
الغذامي، عبدالله. النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٠م.
يوسف، سعدي. الكتابة بالخبرة: في الأدب والمعرفة. بيروت: دار الجديد، ١٩٩٥م.
عزام، محمد. شعرية الخطاب السردي. دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٥م.

ثالثاً: المراجع الأجنبية

Snow, C. P. The Two Cultures. Cambridge: Cambridge University Press, 1959.
Kerridge, Ian, et al. "The Ethics of Pharmaceutical Practice." Journal of Medical Ethics 32.4 (2006): 234-239.
Reason, James. "Human Error: Models and Management." BMJ 320 (2000): 768-770.

البحث الرابع

بحث علمي

المنهج العلمي في قراءة الأحداث التاريخية

تحليل الأحداث التاريخية بناءً على أدوات العلوم الحديثة الدقيقة

استناداً إلى كتاب: رواق القصص الرمضاني

للدكتور محمد فتحي عبد العال

٢٠٢٦م

ملخص البحث

يتناول هذا البحث إشكاليةً جوهريةً في دراسة التاريخ، وهي: كيف يمكن للمنهج العلمي الحديث أن يُعيد قراءة الأحداث التاريخية وتحليلها وتفسيرها؟ وتنطلق فكرة البحث من مطالعة كتاب "رواق القصص الرمضاني" للدكتور محمد فتحي عبد العال، الذي يستعرض أحداثاً تاريخية مصرية إسلامية تتناول الحقبة المملوكية وما جاورها، معتمداً أسلوب السرد التاريخي التحليلي.

يسعى البحث إلى تقديم إطار منهجي متكامل يُوظّف أدوات العلوم الحديثة الدقيقة – من إحصاء وتحليل نصوصي وعلم البيانات والذكاء الاصطناعي وعلم الأنثروبولوجيا التاريخية – في خدمة الدراسات التاريخية، بهدف تجاوز القراءة السردية التقليدية نحو تحليل أعمق وأكثر موضوعية.

الكلمات المفتاحية: المنهج العلمي، التاريخ الإسلامي، علم البيانات، التحليل النصي، الأنثروبولوجيا التاريخية، الحقبة المملوكية، النقد التاريخي.

أولاً: المقدمة والإطار النظري

١,١ إشكالية البحث

يقف المؤرخ أمام تحدٍ مزدوج: تحدي الموثوقية وتحدي التفسير. فالمصادر التاريخية الكلاسيكية – مهما بلغت دقتها – تنطوي بطبيعتها على قدرٍ من الذاتية والانحياز الثقافي والاجتماعي لأصحابها. ويزيد من تعقيد المشهد

أن الحوادث التاريخية الكبرى كثيراً ما تتناقلها طبقات متعددة من الرواة، فتضيع في خضمها الحدود بين الحقيقة والأسطورة.

وكتاب "رواق القصص الرمضاني" نموذجٌ جيد لهذا الإشكال؛ إذ يسرد أحداث الحقبة المملوكية بأسلوب سردي أدبي جذاب، مستنداً إلى المصادر التراثية كالمقريزي وابن خلدون وابن إياس وغيرهم. غير أن القيمة الحقيقية لهذا الكتاب تتضاعف حين ننظر إليه من منظور علمي نقدي: ما الذي يمكن أن تضيفه أدوات العلم الحديث إلى فهم هذه الأحداث وتحليلها؟

١,٢ أهداف البحث

- استعراض المنهج العلمي الحديث وأدواته المتاحة في ميدان الدراسات التاريخية
- تطبيق هذه الأدوات تحليلياً على الأحداث الواردة في الكتاب المرجعي
- بيان أوجه القصور في المنهج السردي التقليدي وإمكانيات تجاوزها
- اقتراح نموذج منهجي متكامل لدراسة الأحداث التاريخية دراسة علمية دقيقة
- تقديم إضافة معرفية للمشتغلين بالتاريخ الإسلامي والتراث العربي

١,٣ منهجية البحث

يعتمد البحث المنهج الاستنتاجي التحليلي، مستعيناً بالمنهج المقارن عند عقد المقارنة بين الرواية التاريخية التقليدية والتحليل العلمي الحديث. كما يستند إلى المنهج الوصفي عند تقديم الأدوات والتقنيات العلمية المقترحة.

ثانياً: المنهج العلمي وعلاقته بالدراسات التاريخية

٢,١ تطور العلاقة بين العلم والتاريخ

لم تكن العلاقة بين المنهج العلمي والدراسات التاريخية وثيقةً دائماً؛ فقد ظل التاريخ تاريخياً حبيسَ مناهج الإنسانيات القائمة على السرد والتأويل. وقد بدأت هذه العلاقة تتوطد مع نشوء علم الآثار في القرن التاسع عشر، ثم توسعت بعد الحرب العالمية الثانية مع تأسيس مدرسة الحوليات الفرنسية (Annales School)، التي نادت باستخدام علوم الاجتماع والاقتصاد والجغرافيا في دراسة التاريخ.

اليوم، في القرن الحادي والعشرين، باتت أدوات العلوم الدقيقة أكثر تطوراً وأوسع نطاقاً من أي وقت مضى، مما يفتح آفاقاً غير مسبوقة أمام المؤرخين والباحثين في التراث.

٢,٢ مبادئ المنهج العلمي

يقوم المنهج العلمي على جملة من المبادئ الأساسية التي تميزه عن التناول الأدبي والسردي البحت:

- الملاحظة الموضوعية: جمع البيانات والمعطيات من مصادر متعددة دون انحياز مسبق
- صياغة الفرضيات: بناء تفسيرات مبدئية قابلة للاختبار والتحقق
- الاختبار والتحقق: تطبيق الأدوات المناسبة للتحقق من صحة الفرضيات
- التحليل الكمي: توظيف الأرقام والإحصاءات للكشف عن الأنماط الخفية
- النقد والمراجعة: إخضاع النتائج للفحص والمراجعة المستمرة

ثالثاً: أدوات العلوم الحديثة في خدمة التاريخ

٣,١ التحليل اللساني والحاسوبي للنصوص (Computational Linguistics)

يُعدّ التحليل اللساني الحاسوبي من أقوى الأدوات الحديثة في دراسة المصادر التاريخية. وهو يعتمد على برمجيات متخصصة قادرة على تحليل نصوص ضخمة في وقت قصير، للكشف عن:

- نمط الكتابة والأسلوب: للتحقق من نسب النصوص إلى أصحابها الحقيقيين
- التحيزات اللغوية: رصد الانحياز السياسي أو الديني أو الاجتماعي في النص
- التواتر اللفظي: تحديد المفردات والمفاهيم الأكثر ورودًا في مرحلة تاريخية معينة
- المقارنة بين الروايات: اكتشاف التناقضات بين رواة متعددين لنفس الحدث

فمثلاً، في قراءة روايات المقريزي وابن إياس حول حقبة المماليك كما يوردها كتاب "رواق القصص الرمضاني"، يمكن للتحليل الحاسوبي رصد الفوارق الأسلوبية بين المؤرخين لتقييم أي الروايتين أقرب للموضوعية.

٣,٢ علم البيانات والإحصاء التاريخي (Historical Data Science)

يُقدّم علم البيانات إمكانية تحويل الروايات السردية إلى معطيات رقمية قابلة للتحليل الإحصائي. وتشمل تطبيقاته في الدراسات التاريخية:

- رسم الخرائط الزمنية: تتبع تسلسل الأحداث وتداعياتها بدقة رياضية
- تحليل شبكات العلاقات: رسم خريطة العلاقات بين الشخصيات والمؤسسات والأحداث
- النمذجة الإحصائية: تحديد العوامل الأكثر تأثيراً في مسار الأحداث التاريخية
- كشف الأنماط الخفية: الكشف عن دورات متكررة في السقوط السياسي والاقتصادي

ومن التطبيقات العملية على الكتاب المرجعي: يمكن بناء نموذج بياني يُحدد أسباب سقوط سلاطين المماليك المتتاليين، مُحلّلاً: عمر السلطان عند توليه الحكم، طول فترة حكمه، دور الحاشية والمغنيات في التأثير على القرار السياسي، والعلاقة بين الفساد المالي وسرعة الإطاحة بالسلطان.

٣,٣ الأنثروبولوجيا التاريخية (Historical Anthropology)

تدرس الأنثروبولوجيا التاريخية الأنماط الثقافية والاجتماعية في المجتمعات الماضية، وتُقدّم للمؤرخ أدوات تفسيرية لا تتوفر في التأريخ الكلاسيكي:

- تحليل البنى الاجتماعية: فهم كيف كانت الهويات الجماعية (المماليك، التجار، العلماء) تُشكّل مسار الأحداث
- أنماط الولاء والانتماء: دراسة ظاهرة تحوّل الأمراء من سلطان لآخر بصورة مفاجئة
- الأنظمة الرمزية: تفسير معاني الألقاب والشعائر والممارسات السياسية
- ديناميات النوع الاجتماعي: قراءة دور المرأة في السلطة كالأمهات والمحظيات

يكشف الكتاب بوضوح عن ظاهرة دور النساء في توجيه قرارات السلاطين (كمغنية الكامل شعبان ثم المظفر حاجي)، وهي ظاهرة تستحق دراسة أنثروبولوجية معمّقة تتجاوز السرد الإخباري.

٣,٤ علم النفس التاريخي (Psychohistory)

يسعى علم النفس التاريخي إلى تطبيق نظريات علم النفس والعلوم السلوكية في فهم دوافع الشخصيات التاريخية وقراراتها. ويطرح أسئلة من قبيل:

- ما الدوافع النفسية وراء تصرفات السلطان حاجي الطائشة رغم صغر سنّه؟
- كيف تُفسَّر ظاهرة تكرار نمط الحكم المدمر في السلاطين المتعاقبين؟
- هل كان لإجراء اعتقال الأخوة في بيئة المماليك أثرٌ نفسي في تشكيل شخصياتهم؟

استخدام أُطر نظرية كالتحليل النفسي (Freudian analysis) أو نظرية التعلق (Attachment Theory) يمكن أن يُضيف بُعداً تفسيرياً ثرياً يعجز عنه التأريخ الخبري البحت.

٣,٥ الجغرافيا التاريخية ونظم المعلومات الجغرافية (GIS)

باتت نظم المعلومات الجغرافية أداةً لا غنى عنها في الدراسات التاريخية الحديثة. وتتيح:

- رسم خرائط دقيقة للمعارك والحملات والهجرات
- ربط الأحداث التاريخية بموقعها الجغرافي الدقيق
- تحليل أثر الجغرافيا في صياغة القرارات السياسية والعسكرية
- تتبع مسار انتشار الأوبئة والمجاعات وعلاقتها بانهيار الأنظمة

في سياق الكتاب المرجعي، يمكن بناء خريطة تفاعلية تُبيّن توزع ممتلكات الأمير شيخو في القاهرة المملوكية، وأثر موقعها الجغرافي في تعزيز نفوذه السياسي والاقتصادي.

٣,٦ الذكاء الاصطناعي ومعالجة اللغة الطبيعية (NLP & AI)

يفتح الذكاء الاصطناعي ومعالجة اللغة الطبيعية آفاقاً ثورية في الدراسات التاريخية:

- ترجمة وتحقيق المخطوطات: بمساعدة نماذج اللغة في فهرسة آلاف المخطوطات وتحليلها
- تحليل المشاعر والمواقف في النصوص القديمة
- ربط الأحداث المتشابهة عبر مصادر متعددة آلياً
- بناء نماذج تنبؤية تحاكي سيناريوهات تاريخية بديلة

رابعاً: تطبيق المنهج العلمي على نماذج من الكتاب

٤,١ نموذج تحليلي: ظاهرة سقوط سلاطين المماليك

يرصد كتاب "رواق القصص الرمضاني" تتابعاً لافتاً في سقوط سلاطين المماليك سقوطاً مبكراً وعنيفاً. وبتطبيق المنهج العلمي على هذه الظاهرة، يمكن صياغة الفرضية التالية:

الفرضية: ثمة علاقة إحصائية دالة بين صغر سن السلطان عند توليه العرش، وضعف مؤسسة الحراسة الشخصية، ومدى سيطرة الحاشية، وبين قِصَر فترة حكمه وعنف نهايته.

ولاختبار هذه الفرضية، يمكن توظيف المنهج الآتي:

- جمع بيانات كمية عن أعمار السلاطين عند التولي وعند السقوط
- ترميز العوامل النوعية (دور الحاشية، وجود الفساد، الاضطرابات الاقتصادية)
- تحليل الارتباط الإحصائي (Correlation Analysis) بين هذه المتغيرات
- بناء نموذج انحدار لوجستي يُحدد العوامل الأكثر تنبؤاً بسقوط السلطان

٤,٢ نموذج تحليلي: دور المرأة في المنظومة السياسية المملوكية

يبرز الكتاب بجلاء ظاهرة تأثير المرأة – أماً كانت أم محظيةً أم مغنية – على القرار السياسي في عهد المماليك. والتناول العلمي لهذه الظاهرة يقتضي:

- رصد جميع الحالات الواردة وتصنيفها وفق نوع التأثير (مباشر/غير مباشر)
- تحليل الأنماط الثقافية التي أتاحت هذا التأثير في ظل منظومة ذكورية بحتة
- المقارنة مع دور المرأة في المنظومات السياسية المعاصرة في المشرق والمغرب
- استخدام أطر الدراسات النسوية التاريخية (Feminist Historiography) لإعادة تأويل هذه الروايات

٤,٣ نموذج تحليلي: العمارة الإسلامية كوثيقة تاريخية

يُخصص الكتاب حيزاً وافراً للحديث عن عمائر الأمير شيخو وسواه من الأمراء المماليك. وهذه العمائر يمكن أن تخضع لتحليل علمي متعدد الأبعاد:

- التحليل الأثري: دراسة مواد البناء وتقنياته للتحقق من التواريخ المروية
- التحليل المعماري المقارن: الكشف عن التأثيرات المتبادلة بين المدارس المعمارية

- تحليل التكلفة الاقتصادية: تقدير الحجم الفعلي لثروات الأمراء من خلال إنفاقهم على العمران
- الخرائط الثلاثية الأبعاد (٣D Reconstruction): إعادة بناء المباني المختفية رقمياً

خامساً: حدود المنهج العلمي في دراسة التاريخ

٥,١ إشكاليات تطبيق المنهج العلمي تاريخياً

رغم ما يُقدمه المنهج العلمي من إضافة حقيقية، ثمة حدود واضحة ينبغي استحضارها:

- ندرة البيانات الكمية: فالمصادر التاريخية العربية الكلاسيكية لا تُقدم إحصاءات دقيقة في أغلب الأحيان
- التحيز في المصادر الأولية: المصادر نفسها قد تكون مُوجَّهة سياسياً أو دينياً
- صعوبة ترميز التجربة الإنسانية: المشاعر والدوافع لا تنضبط بالأرقام دائماً
- خطر الاختزال المفرط: إرجاع أحداث معقدة لنماذج رياضية مبسّطة قد يُشوّه الفهم

٥,٢ التكامل بين المنهجين

لا يرمي هذا البحث إلى إلغاء المنهج السردي التقليدي، بل إلى التكامل بين المنهجين. فالمنهج الأدبي السردي – كما يُجسّده كتاب "رواق القصص الرمضاني" – يمنح التاريخ روحه وحياته ويُقرّبه من القارئ العادي، في حين يمنحه المنهج العلمي عمقاً تحليلياً وموضوعيةً منهجية.

والنموذج الأمثل هو الجمع بين الحكاية المشوّقة والتحليل الدقيق، كما فعلت المدرسة التاريخية الحديثة في أعمال مؤرخين من أمثال فيرنان برودل وإيمانويل لو روا لادوري.

سادساً: النتائج والتوصيات

٦,١ النتائج

خلص البحث إلى جملة من النتائج:

- يُمثل كتاب "رواق القصص الرمضاني" مادة تاريخية ثرية قابلة للتحليل العلمي المتعدد الأبعاد
- أدوات العلوم الحديثة كالذكاء الاصطناعي وعلم البيانات والأنثروبولوجيا قادرة على إضافة قيمة تفسيرية حقيقية للروايات التاريخية التراثية
- ثمة أنماط متكررة في سقوط الأنظمة السياسية يمكن كشفها إحصائياً وتحليلها منهجياً
- دور المرأة في المنظومة السياسية المملوكية يستحق دراسة علمية مستقلة أكثر عمقاً
- العمارة الإسلامية في العصر المملوكي مصدرٌ تاريخي أولي لم يُستنفد بعد

٦,٢ التوصيات

- دعوة الباحثين في التاريخ الإسلامي إلى تبني أدوات علم البيانات والذكاء الاصطناعي في دراساتهم
- إنشاء قواعد بيانات رقمية شاملة للمصادر التاريخية العربية الكلاسيكية لتيسير التحليل الحاسوبي
- تشجيع البحث التخصصي المشترك بين المؤرخين وعلماء البيانات واللسانيين والأنثروبولوجيين
- تطوير مناهج دراسية في الجامعات العربية تُدمج التاريخ بعلوم الحاسوب والإحصاء
- الاستفادة من التراث المادي (العمائر، السكّ، المخطوطات) في دعم الروايات التاريخية المكتوبة

سابعاً: الخاتمة

في ختام هذا البحث، يتضح جلياً أن المنهج العلمي والدراسات التاريخية ليسا عالمين متوازيين لا يلتقيان، بل هما وجهان لعملة واحدة: فهم الإنسان وتجربته عبر الزمن. وكما قدّم كتاب "رواق القصص الرمضاني" للدكتور محمد فتحي عبد العال صورة حيّة لتلك التجربة في رحاب مصر المملوكية، فإن المنهج العلمي يُعمّق هذه الصورة ويُضيء جوانبها المعتمة.

إن التاريخ لا يُقرأ مرة واحدة؛ فكل أداة جديدة تُعيد قراءته من زاوية مختلفة، وتكشف عن معنى جديد في أعماق الحدث الذي ظننّاه معروفاً. وهذا بالضبط ما يمنح دراسة التاريخ حيويتها ومشروعيتها في كل عصر.

والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل.

المراجع والمصادر

أولاً: المصادر التراثية

- المقريزي، تقي الدين أحمد. الخطط المقريزية (المواعظ والاعتبار). دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن خلدون، عبد الرحمن. مقدمة ابن خلدون. دار الكتاب اللبناني، بيروت.
- ابن إياس، محمد بن أحمد. بدائع الزهور في وقائع الدهور. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ثانياً: المراجع الحديثة

- عبد العال، محمد فتحي. رواق القصص الرمضاني. ديوان العرب للنشر والتوزيع، بورسعيد، ٢٠٢٣م.
- برودل، فيرنان. الحضارة المادية والاقتصاد والرأسمالية. ترجمة عربية، الدار العربية للعلوم.
- Moretti, Franco .Distant Reading. Verso Books, London, 2013.
- Scheidel, Walter .The Science of Roman History. Princeton University Press, 2018.
- Manning, Patrick .Navigating World History: Historians Create a Global Past. Palgrave Macmillan.٢٠٠٣ ,
- Guldi, Jo & Armitage, David. The History Manifesto. Cambridge University Press, 2014.

ثالثاً: المصادر الرقمية

- قاعدة بيانات المصادر الإسلامية الرقمية – مشروع نور (Noor Digital Library)
- مشروع رقمنة التراث الإسلامي – معهد الدراسات الإسلامية بجامعة برلين
- الموسوعة الحرة ويكيبيديا – مقالات متعلقة بسلاطين المماليك والعمارة الإسلامية


الدر المنثور
في مكنون جوهر المقول

منافح الأيك في مساجلات النخب: قراءة نقدية تحليلية نموذجا

الملخص

يتناول هذا البحث قراءةً تحليليةً نقديةً في كتاب "منافح الأيك في مساجلات النخب" للدكتور محمد فتحي عبد العال، الصادر عن دار ديوان العرب للنشر والتوزيع عام ٢٠٢٣م، والذي جاء في نحو ثمان وتسعين صفحة، محتضِناً سبعةً وعشرين سؤالاً وجواباً تمثّل حواراً معرفياً بين المؤلف وقرّائه. ويسعى البحث إلى استجلاء المنهج الذي اعتمده المؤلف في التعامل مع الوثيقة التاريخية، وتقييم مساهماته في مجال نقد الموروث الثقافي والتاريخي المصري، وتحليل طريقة تناوله للإشكاليات العلمية والاجتماعية والسياسية والدينية من خلال أرشيف الصحافة المصرية. كما يكشف البحث عن أبرز القضايا التي أثارها الكتاب، ويعرض نقاط قوته ومواضع الجدل فيه. وقد خلص البحث إلى أن الكتاب يمثّل تجربةً ريادية في أدب الحوار المعرفي العربي، غير أنه يستدعي مزيداً من التدقيق المنهجي في التعامل مع مصادره الأرشيفية.

الكلمات المفتاحية :منافح الأيك، محمد فتحي عبد العال، أرشيف الصحافة المصرية، الوثيقة التاريخية، النقد البنّاء، الموروث الثقافي.

أولاً: مدخل إلى الكتاب والمؤلف

1.1التعريف بالمؤلف

الدكتور محمد فتحي عبد العال كاتبٌ وباحثٌ وروائي مصري من مواليد الزقازيق بمحافظة الشرقية عام ١٩٨٢م، ويجمع بين تكوين علمي صيدلاني أكاديمي رصين - إذ يحمل بكالوريوس الصيدلة من جامعة الزقازيق (٢٠٠٤م) وماجستير في الكيمياء الحيوية (٢٠١٤م) - وبين شغفٍ بحثي تاريخي واسع يتجلى في مؤلفاته التي تجاوزت الأربعين كتاباً. وتكشف هذه الثنائية في تكوينه عن نموذج نادر للمثقف الموسوعي القادر على الجمع بين دقة العلوم التجريبية وثراء العلوم الإنسانية.

1.2التعريف بالكتاب وسياق تأليفه

يُعلن الكتاب في مقدمته عن هدفٍ محدد وهو إفراد مساحةٍ موسّعة للحوار مع القرّاء، استلهاماً من ثقافة "التواصل الفعال (Communication) "ومفهوم

"التغذية الراجعة(Feedback) "، وهما مصطلحان يستعيرهما المؤلف من بيئته المهنية في إدارة الجودة الطبية ليطبّقهما في السياق الثقافي. ويرى المؤلف أنه بهذه الخطوة - أي تخصيص كتابٍ مستقل للردود على قرّائه - يكون "أول كاتبٍ مصري وعربي يتخذ هذه الخطوة"، وهو ادعاءٌ يحتاج في حد ذاته إلى تحقق علمي.
جاء الكتاب حاملاً عنواناً مركّباً دالاً؛ فـ"المنافح" جمع "منفحة" وهي ما يُنفَح به الحيوان أي ما يُطعَم به لإدرار اللبن، وقد يقصد المؤلف بها إدرار المعرفة وتوليد الأفكار. و"الأيك" هو الشجر الملتفّ الكثيف، وهو كناية عن كثافة المعرفة وتشابك مسالكها. أما "مساجلات النخب" فتحيل إلى طبيعة الكتاب بوصفه سجالاً معرفياً مع النخب المثقفة من القرّاء.

ثانياً: المنهج والأسلوب

2.1الطابع الحواري

ينتمي الكتاب إلى جنس "أدب الأسئلة والأجوبة" الذي له جذور عميقة في الثقافة العربية الإسلامية، من "مسائل" الفقهاء إلى "إجابات" علماء الكلام. غير أن المؤلف يمنح هذا الجنس الأدبي القديم روحاً معاصرة، إذ تتنوع أسئلة الكتاب السبعة والعشرين لتشمل مجالات شتى: التاريخ السياسي والاجتماعي، والنقد الأدبي، وتاريخ الطب، والصحافة، والعلوم، والتراجم.
ويتميّز أسلوب المؤلف بجملةٍ من السمات:
أولاً :الجمع بين الأكاديمية والسردية، فهو لا يتعامل مع الأسئلة تعاملاً جافاً، بل يُحيطها بقصصٍ ومشاهد من تجربته الشخصية تمنح النص حيويةً وقرباً من القارئ.
ثانياً :التأريخ عبر الصحافة، إذ يتخذ من أرشيف الصحافة المصرية وثيقةً مصدريةً رئيسية، وهو نهجٌ بحثي له قيمته الأكاديمية وله في الوقت ذاته محاذيره.
ثالثاً :النقد الذاتي للثقافة، وهو يجرؤ على مساءلة شخصياتٍ تاريخية كأينشتاين وصلاح الدين الأيوبي وغيرهما مساءلةً تتجاوز التبجيل المعهود.
رابعاً :ما يسميه "الاستئناس" بالوثائق لا الاستناد إليها، وهو تحفّظٌ منهجي صريح يُعلنه المؤلف وإن كان يدعو لوقفةٍ نقدية.

2.2منهج التعامل مع الوثيقة التاريخية

يُعلن المؤلف صراحةً عن وعيه بالفارق بين "الوثيقة التاريخية" و"الورقة التاريخية"، ويستعمل تعبير "على سبيل الاستئناس" مقروناً بكثير من مروياته الأرشيفية. وهذا الوعي النقدي الذاتي يُحسب للمؤلف، ولو جُعل مبدأً منهجياً أكثر صرامةً في كل صفحات الكتاب لارتفع البحث إلى مستوىً أرصخ أكاديمياً.

غير أن المؤلف لا يتوقف عند هذا التحفظ، بل كثيراً ما يستطرد في التحليل والاستنتاج بناءً على المعلومات الأرشيفية ذاتها، مما يجعل الحد بين الاستئناس والاستناد ضبابياً أحياناً.

ثالثاً: القضايا المعرفية الكبرى في الكتاب

3.1إشكالية الصورة النمطية والأسطورة التاريخية

يُعدّ السؤال الأول عن علاقة أينشتاين بعلي مصطفى مرشفة نموذجاً مثالياً لمنهج المؤلف في "أسطرة" الشخصيات التاريخية ونقدها. يذهب المؤلف إلى أن الصداقة المزعومة بين العالِمَين "لا تعدو كونها نسجاً من الأسطورة"، مستنداً إلى حجةٍ عقلية وجيهة، وهي أن النظرية النسبية الخاصة نُشرت عام ١٩٠٥م ومرشفة كان في السابعة من عمره، والعامة عام ١٩١٦م وكان في الثامنة عشرة، مما يجعل أي ادعاءٍ بمساهمته في تطويرها أمراً لا تسنده الحسابات الزمنية.
هذا التناول يكشف عن منهج نقدي مهم في التعامل مع "بطولات" الشخصيات الثقافية، وهو منهجٌ يستحق التقدير، لأن الثقافة العربية المعاصرة تعاني من ظاهرة "التضخيم الاستعادي"، أي المبالغة في رسم ملامح الأجداد العلميين لأغراضٍ نفسية وأيديولوجية. ومع ذلك، كان بإمكان المؤلف توثيق هذه الحجة بمصادر أكاديمية أولية أكثر من الاكتفاء بمواقع إلكترونية كـ"الجزيرة" و"الحرة" ومركز Leo Baeck Institute.

3.2تاريخ الصحافة والفبركة الإعلامية

يُفرد الكتاب مساحةً واسعة لظاهرة "الفبركة الصحفية" في التجربة الصحفية المصرية، متخذاً من الشيخ الشربتلي نموذجاً لهذه الظاهرة. وما يُجوّد هذا القسم وجود شواهد موثقة من أرشيف الصحافة ذاتها؛ كواقعة مراسل الأهرام في مرسى مطروح الذي فبرك خبر اكتشاف جيش قمبيز، وواقعة مفيد فوزي وحديثه الملفق مع هدى عبد الناصر، وواقعة صورة الأهرام التي وضعت مبارك في مقدمة زعماء قمة البيت الأبيض عام ٢٠١٠م.
تكشف هذه الشواهد عن نمطٍ متكرر في التاريخ الصحفي المصري تجمعه حلقةٌ مشتركة، وهي الضعف المنهجي في التحقق من المعلومات والضغوط السياسية والاجتماعية على الصحافة. والأهم أن المؤلف لا يكتفي بعرض الشواهد بل يربطها بسؤالٍ فلسفي أعمق: ما الذي يجعل المجتمعات تنتج هذا النوع من الكذب المؤسسي؟

3.3تاريخ الأوقاف والأسرة العلوية

يُقدّم الكتاب في السؤال الثالث قراءةً توثيقية موسّعة لعلاقة الأسرة العلوية بأوقاف مصر، من محمد علي باشا المؤسس إلى الملك فاروق. وتتميز هذه

القراءة بشموليتها الزمنية واستنادها إلى مصادر متعددة، منها كتاب "كبار الملاك والفلاحين في مصر" للدكتورَين رءوف عباس وعاصم الدسوقي.
ويصل المؤلف إلى خلاصةٍ موثّقة، وهي أن الأسرة العلوية طوّرت منظومةً متكاملة للاستيلاء على أموال الأوقاف، وأنها مارست ذلك في عهودٍ متتالية بأساليب متباينة. وهذه الخلاصة ليست مجرد تحليلٍ انتقادي، بل هي دعوةٌ ضمنية لإعادة قراءة النموذج الحداثي الذي اعتمدته مصر في القرن التاسع عشر.
غير أن ثمة تحفظاً منهجياً هنا: اعتماد المؤلف المفرط أحياناً على كتاب "حكايات من دفتر الوطن" للأستاذ صالح عيسى وعلى كتاب "فاروق ملك" لأحمد بهاء الدين، وهما مصدران ذوا طابع سردي لا أكاديمي بحت، في حين أن الموضوع يستدعي التعامل المكثّف مع وثائق الأرشيف الرسمي.

3.4 نقد الاستثمار الرمزي لصلاح الدين الأيوبي

يُمثّل السؤال الخامس أحد أجرأ مواقف الكتاب وأكثرها إثارةً للجدل، إذ يرفض المؤلف "أسطرة" صلاح الدين الأيوبي بوصفه زعيماً إسلامياً لا نظير له، مؤكداً أن هذه الأسطورة ضخّمها الغرب الاستعماري عمداً "ليظل العرب على إيمانهم أنهم لا يقومون إلا بقومة رجل يقودهم".
هذه القراءة تستحق وقفةً نقدية من ناحيتين:
من ناحية القيمة: إن نقد "عبادة الشخصية" في الثقافة العربية خطوةٌ معرفية شجاعة وضرورية، والتأريخ النقدي لا يعني إنكار الإنجازات الفعلية لصلاح الدين، بل وضعها في سياقها الحقيقي بعيداً عن الأطر الأيديولوجية.
من ناحية الإشكال: إن اختزال الظاهرة بكاملها في مؤامرةٍ غربية مدروسة يُشكّل تفسيراً تجزيئياً يُغفل عوامل بنيوية أخرى في صناعة الرمز الثقافي، منها حاجة المجتمعات في أوقات الهزيمة إلى نماذج النهوض.

3.5 أزمة الصحة في مصر ومحدودية الإصلاح التاريخي

في السؤال الرابع يُقدّم المؤلف وثائق من مستشفى مبرة محمد علي بالمعادي عام ١٩٤٦م تكشف مستوى التردّي في منظومة الرعاية الصحية، وكيف أن مقاومة النخب الاجتماعية ذات النفوذ حالت دون الحلول الممكنة، متجسّداً ذلك في واقعة "نجيب باشا سالم" الذي رفض مغادرة المنزل الذي احتاجه المستشفى للتوسعة.
وفي السؤال الحادي عشر يتابع المؤلف مسيرة التمريض النسائي في مصر وما حققته بعثات التدريب الأمريكي من ثمار، مع تساؤلٍ يبقى معلّقاً: "لماذا جاء الإخفاق بعد ذلك؟" وهو سؤالٌ يستحق إجابةً بحثية مستقلة.

رابعاً: القيمة الأكاديمية للأرشيف الصحفي بوصفه مصدراً تاريخياً

4.1 الصحافة مصدراً تاريخياً

يؤسّس الكتاب ضمنياً لأطروحةٍ منهجية مهمة، وهي أن الصحافة الدورية تُشكّل مصدراً تاريخياً مستقلاً له خصائصه المنهجية. وقد أكد هذا التوجه كثيرٌ من المؤرخين الغربيين والعرب، كالمؤرخ الفرنسي لوسيان فيفر الذي دعا إلى توسيع مفهوم الوثيقة التاريخية لتشمل كل ما تركه الإنسان أثراً.
غير أن الأرشيف الصحفي له خصائص ومحاذير ينبغي مراعاتها:

- الصحيفة تعكس في المقام الأول زاوية رؤية محررها وخطّ سياستها التحريرية، لا بالضرورة الحقيقة الموضوعية.
- تأثير الرقابة السياسية والاجتماعية في الصحافة المصرية على مدار تاريخها يُضعف موثوقيتها في قضايا بعينها.
- الخطأ الصحفي وارد حتى في أكثر الصحف رصانةً، كما أثبت المؤلف نفسه في قسم الفبركة الصحفية.

4.2التوثيق المتقاطع

يستعمل المؤلف أحياناً ما يمكن تسميته "التوثيق المتقاطع"، أي دعم الرواية الصحفية بمصادر مكتبية أكاديمية. وهذا النهج هو الأسلم منهجياً، كما في توثيقه لثروات الأسرة العلوية الذي جمع فيه بين الأرشيف الصحفي وكتبٍ أكاديمية متخصصة. غير أن هذا النهج المزدوج لم يُطبَّق باتساق في جميع مسائل الكتاب.

خامساً: الإسهام في نقد الموروث الثقافي

5.1نقد ثقافة التعظيم الأعمى

يتكشّف في الكتاب مشروعٌ فكري متماسك يهدف إلى نقد ما يمكن تسميته "ثقافة التعظيم الأعمى"، أي ذلك الميل الثقافي إلى تضخيم الشخصيات التاريخية والعلمية ورفعها إلى مقام الأسطورة. ويُجلّي المؤلف هذا الميل في حالات عدة: مرشفة وأينشتاين، وصلاح الدين الأيوبي، ومجد المستشفيات في الماضي.
وما يمنح هذا النقد قيمته المضافة أن المؤلف لا يقتصر على الهدم، بل يدعو صراحةً إلى "نظرة الإنسان المتوازن" التي تجمع بين الإقرار بالإنجازات الحقيقية ورفض المبالغة فيها.

5.2نقد ثقافة التواصل في المجتمعات العربية

تُشكّل المقدمة الطويلة للكتاب قصةً تشخيصية لغياب ثقافة الحوار، متجسدةً في تجربة المؤلف مع معهد إسلامي للتعليم عن بُعد أقدم على فصله لأنه جرؤ على التساؤل عن مؤهلات أستاذه. هذه القصة - بغضّ النظر عن أبعادها

الشخصية - تفتح باباً مهماً للتأمل في ثقافة السلطة الأبوية المعرفية في مجتمعاتنا وأثرها في إعاقة التطور المعرفي.

سادساً: نقد الكتاب وتقييمه

6.1نقاط القوة

يمتلك الكتاب جملةً من المزايا الأكاديمية والفكرية:
أولاً :الجرأة المعرفية في مساءلة الثوابت السردية، وهي مزيةٌ نادرة في الكتابة التاريخية العربية المعاصرة التي تميل في الغالب إلى التكرار والتثبيت لا إلى المراجعة والنقد.
ثانياً :توظيف المصادر الأرشيفية بصورة مكثفة ومنظمة، وإن احتاج هذا التوظيف مزيداً من الضبط المنهجي.
ثالثاً :ربط الإشكاليات التاريخية بهمومٍ راهنة حية، فالمؤلف لا يكتب تاريخاً للتاريخ بل يكتب تاريخاً من أجل الحاضر.
رابعاً :الأسلوب المتدفق الذي يجمع بين المعلومة والقصة، مما يُيسّر على القارئ غير المتخصص الدخول إلى فضاءات البحث التاريخي.

6.2مواضع الإشكال المنهجي

في المقابل، ثمة ملاحظاتٌ منهجية ينبغي إيرادها:
أولاً :الاعتماد أحياناً على مصادر إلكترونية - كمواقع الجزيرة والحرة ومواقع صحفية - في مسائل تاريخية دقيقة تستدعي الرجوع إلى المصادر الأولية الأرشيفية أو الدراسات الأكاديمية المحكّمة.
ثانياً :التشابك أحياناً بين الرأي الشخصي للمؤلف والمعلومة الموثّقة دون فاصلٍ واضح بينهما، مما يُصعّب على القارئ تمييز ما هو تحليل اجتهادي مما هو حقيقة موثّقة.
ثالثاً :ادعاء الريادة - كقوله إنه "أول كاتب مصري وعربي" يخصص كتاباً للحوار مع قرائه - يحتاج إلى تثبيت تاريخي مقارن، إذ إن أدب السؤال والجواب له تاريخٌ عريق في الثقافة العربية يصعب القطع بعدم وجود نظائر لهذا الكتاب.
رابعاً :غياب فهرسٍ تحليلي شامل بالأعلام والأماكن والمصادر الذي كان سيُضاعف القيمة المرجعية للكتاب.
خامساً :في سؤال الطلاق والزواج العرفي يُقرّ المؤلف بأن تفصيل الإجابة "يحتاج لمجلد خاص"، وهو اعترافٌ يكشف عن مشكلة بنيوية في الكتاب وهي التفاوت في عمق المعالجة من سؤالٍ لآخر.

سابعاً: موقع الكتاب في منظومة الكتابة التاريخية المصرية المعاصرة

7.1السياق الأشمل

يندرج الكتاب في مسار أشمل من المراجعة التاريخية النقدية التي شهدتها مصر في العقود الأخيرة، وينتمي إلى مدرسةٍ بحثية تستثمر الأرشيف الصحفي توثيقاً للتاريخ الاجتماعي، وهي مدرسةٌ لها رواد من أمثال الراحل صالح عيسى في "حكايات من دفتر الوطن" وكتاباته عن العهد الملكي.

7.2الجمهور المستهدف

يتضح أن الكتاب يستهدف شريحةً واسعة من القرّاء تجمع بين المثقف غير المتخصص المهتم بالتاريخ المصري، وطالب العلوم الاجتماعية والإنسانية، وربما الباحث الأكاديمي الذي يستطيع استثمار هذه الشواهد الأرشيفية نقطةَ انطلاقٍ لأبحاثٍ أكثر تعمقاً.

خاتمة واستنتاجات

يُشكّل كتاب "منافح الأيك في مساجلات النخب" إضافةً حقيقية إلى مكتبة التاريخ الاجتماعي والثقافي المصري، وتتجلى قيمته المضافة في ثلاثة محاور:
أولاً :الجرأة في مساءلة الأسطورة التاريخية ونقدها، وهذا من أعسر ما يقدم عليه الكاتب في بيئةٍ ثقافية تميل إلى التقديس.
ثانياً :توظيف الأرشيف الصحفي مصدراً تاريخياً بطريقةٍ منهجية - ولو تفاوتت دقتها - تفتح الباب أمام مزيدٍ من الدراسات المماثلة.
ثالثاً :الربط العضوي بين الإشكاليات التاريخية وهموم الحاضر، مما يمنح الكتاب طابعاً توعوياً يتجاوز حدود التأريخ المجرد.
بيد أن الكتاب يحتاج في طبعاتٍ لاحقة إلى تعزيز منهجيته في التوثيق، وتوسيع دائرة مصادره الأولية، وتنقية الفصل بين المعلومة الموثّقة والتحليل الاجتهادي، حتى يرقى من مستوى الكتابة المعرفية المتميزة إلى مستوى البحث التاريخي الذي يمكن الاحتجاج به أكاديمياً.
ومما يبشر بالخير أن المؤلف يمتلك وعياً نقدياً ذاتياً واضحاً بحدود منهجه، يتجلى في تعبيره الدال "على سبيل الاستئناس"، وهو وعيٌ إن صار منهجاً صارماً لا مجرد تحفظٍ اعتذاري، تحوّل الكتاب إلى نموذج للكتابة التاريخية التي تجمع بين الجرأة والرصانة معاً.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الأولية

- عبد العال، محمد فتحي. *منافح الأيك في مساجلات النخب (على خطى النقد البناء)* . بورسعيد: دار ديوان العرب للنشر والتوزيع، ٢٠٢٣م.

ثانياً: المراجع العربية

- الجبرتي، عبد الرحمن. *عجائب الآثار في التراجم والأخبار*. القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٩٧م.
- عباس، رءوف والدسوقي، عاصم. *كبار الملاك والفلاحين في مصر 1837-1952م*. القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر، ١٩٩٨م.
- عيسى، صالح. *حكايات من دفتر الوطن*. القاهرة: ميريت للنشر والمعلومات، ٢٠٠٣م.
- سالم، لطيفة. *فاروق وسقوط الملكية في مصر*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م.

ثالثاً: المراجع الأجنبية

- Rosen, Diana (ed.). *The Travel Diaries of Albert Einstein: The Far East, Palestine, and Spain 1922-1923*. Princeton: Princeton University Press, 2018.
- Goldschmidt, Arthur. *A Brief History of Egypt*. New York: Facts on File, 2008.



البحث السادس

آليات تشريح وقائع الماضي عند محمد فتحي عبد العال:
كتاب "أوراق مطوية "نموذجًا

Mechanisms of Dissecting Past Events in Mohammad Fathy Abdel-Aal's Work:

"Folded Papers" as a Model

ملخص البحث

يتناول هذا البحث آليات الكتابة التاريخية في كتاب "أوراق مطوية)تشريح وقائع الماضي "(للمؤرخ والكاتب د .محمد فتحي عبد العال، الصادر عام 2024م عن دار ديوان العرب للنشر والتوزيع، في 160 صفحة .ويسعى البحث إلى الكشف عن المنهجية التي ينتهجها المؤلف في استجلاء الحقائق التاريخية واستدعاء وقائع الماضي وتشريحها بأدوات نقدية رصينة، تجمع بين التحقيق التاريخي والنقد الأدبي والتحليل الاجتماعي. كما يدرس البحث البنية التكوينية للكتاب، والمقاربات المنهجية المتبعة في معالجة المادة التاريخية، ومدى تجاور الرؤيتين الموضوعية والذاتية في الكتابة .وقد اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي مدعومًا بالمنهج الاستقرائي في استخلاص آليات التشريح الدلالي للنصوص الموثقة.

تكشف الدراسة أن الكتاب يقوم على ستة محاور رئيسية تشريحية، هي :الوثيقة الأرشيفية معيارًا للحقيقة، وإعادة قراءة الشخصية التاريخية في ضوء معطياتها المتناقضة، والربط التاريخي المقارن بين الحقب والأنظمة، وانفتاح التاريخ على الدين والفقه والعلم، والتحقيق في الرواية الموروثة، وأخيرًا السيرة الذاتية باعتبارها ثيمة محرِّكة للنص .وخلص البحث إلى أن عبد العال يمثّل نموذجًا في الكتابة التاريخية الشعبية المُحكَمة التي تكسر ثنائية الأكاديمية والترفيه، مع رصد بعض الإشكاليات المنهجية المتعلقة بالذاتية والانحياز والتسرع في الاستنتاج.

الكلمات المفتاحية :تشريح التاريخ، الكتابة التاريخية، محمد فتحي عبد العال، أوراق مطوية، النقد التاريخي، الوثيقة الأرشيفية، قراءة الماضي.

Keywords: Historical dissection, historical writing, Mohammad Fathy Abdel-Aal, Folded Papers, historical criticism, archival document, reading the past.

أولًا :مدخل إلى الدراسة

مشكلة البحث وأهميته .1

تُعدّ الكتابة التاريخية في الثقافة العربية المعاصرة ساحةً متجاذَبة بين قطبين متناقضين :قطب الأكاديمية الصارمة التي تنغلق على النخبة بمصطلحاتها الثقيلة ومناهجها المحكمة، وقطب التبسيط الشعبوي الذي يُسوّغ التاريخ ويُسطّحه في قالب قصصي مُسلٍّ لا يُقنع الباحث المتمرس .وفي هذا الفضاء المُقلق، تبرز تجربة د .محمد فتحي عبد العال الكتابية باعتبارها محاولةً جادة للتوسط بين هذين القطبين، مقترحةً نموذجًا في التأريخ النقدي الشعبي يستحق الرصد والتحليل.

يُمثّل كتاب "أوراق مطوية "الصادر عام 2024م خلاصةً لتجربة تأليفية تمتد أكثر من سبع سنوات متصلة، وهو ما يُصرّح به المؤلف في تقديمه بوضوح لافت" :ربما كان كتابي هذا هو الأخير"، ليجعل من الإصدار لحظةَ مكاشفة ذاتية تاريخية في آنٍ معًا .ويضمّ الكتاب في 160 صفحة مباحثَ متنوعة تتناول شخصيات تاريخية وأحداثًا وقضايا مصرية وإسلامية بأسلوب يجمع بين البحث الأرشيفي والنقد الأدبي والتحليل السياسي والاجتماعي والفقهي.

تكمن أهمية هذه الدراسة في كونها أول دراسة أكاديمية مفصّلة تُعنى بمنهجية عبد العال في هذا الكتاب تحديدًا، إذ يكشف تحليل الكتاب وجودَ منظومة آليات متكاملة في تشريح وقائع الماضي تستحق التنظير والدراسة، لا سيما أن هذه الكتابة التاريخية الشعبية المُحكَمة تُشكّل ظاهرةً ثقافية بالغة الدلالة في المشهد الثقافي العربي الراهن.

أسئلة البحث .2

يسعى هذا البحث إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية:

أ .ما الآليات المنهجية التي يعتمدها محمد فتحي عبد العال في تشريح وقائع الماضي؟

ب .كيف يتحقق التوازن بين الموضوعية التاريخية والذاتية الانتقادية في بنية الكتاب؟

ج .ما طبيعة المرجعية المصدرية والوثائقية عند المؤلف، وكيف يوظّفها في خدمة أطروحاته؟

د .كيف يتعامل المؤلف مع الرواية التاريخية الموروثة؟ وما حدود التجديد في قراءتها؟

هـ .ما الإشكاليات المنهجية التي يثيرها الكتاب في سياق الكتابة التاريخية الشعبية؟

منهج البحث والإطار النظري .3

يعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي بوصفه إطارًا منهجيًا رئيسيًا، مدعومًا بالمنهج الاستقرائي في استقراء النصوص وتصنيف الآليات التشريحية، فضلًا عن المنهج النقدي في تقييم الأطروحات والاستنتاجات. ويستند الإطار النظري للدراسة إلى عدد من المرجعيات المنهجية في نقد الخطاب التاريخي، لعل أبرزها: نظرية الخطاب التاريخي عند هايدن وايت، ومفهوم التاريخ من أسفل لدى مدرسة التاريخيانية الجديدة، إضافةً إلى مفاهيم السرد التاريخي والأرشفة كما صاغها ميشيل فوكو.

4. الدراسات السابقة

تفتقر المكتبة النقدية العربية إلى دراسات أكاديمية معمّقة تُعنى بتجربة محمد فتحي عبد العال الكتابية بشكل عام، وبكتاب "أوراق مطوية" بشكل خاص، مما يمنح هذه الدراسة طابعَ الأسبقية البحثية. وقد وقف الباحث على بعض القراءات النقدية المنشورة في المواقع الثقافية والصحافة الإلكترونية، غير أنها لم ترقَ إلى مستوى الدراسة المنهجية المُحكَمة. ويعكس غياب الدراسات المتخصصة إشكاليةً أعمق تتعلق بتأخر الاهتمام الأكاديمي بالكتابة التاريخية الشعبية كخطاب ثقافي قائم بذاته.

ثانيًا: محمد فتحي عبد العال - السيرة الكتابية والمشروع الثقافي

ينتمي د. محمد فتحي عبد العال إلى جيل المثقفين المصريين المستقلين الذين انشغلوا بالتأريخ الشعبي النقدي خارج المؤسسة الأكاديمية الرسمية، معتمدين على الأرشيف والوثيقة وإعادة قراءة المصادر الأولية. ويُصرّح المؤلف في تقديم "أوراق مطوية" بأن مسيرته الكتابية امتدت أكثر من سبع سنوات متصلة كرّس فيها جهده للكتابة والنشر، وهو ما يُعطي إصدار هذا الكتاب ثقلًا خاصًا باعتباره حوصلةً لمسار فكري مديد.

تتميز الكتابة التاريخية عند عبد العال بعدد من السمات الجوهرية: فهي تاريخية في موضوعها، نقدية في منهجها، شعبية في أسلوبها، وجريئة في طرح الأسئلة المُسكوت عنها. ولا يتردد المؤلف في مواجهة الثوابت الموروثة في الوجدان الجمعي المصري، سواء أتعلق الأمر بأيقونات الحركة الوطنية، أم بالشخصيات الدينية والسياسية، أم بالروايات التاريخية الرسمية. ومع ذلك يحرص على التمييز الواضح بين طرح التساؤل النقدي وبين إصدار أحكام قاطعة جازمة، مما يُبقي النص في منطقة الحوار المفتوح لا الادعاء المُغلق.

تجدر الإشارة إلى أن المؤلف يُعلن في التقديم عن شعور بالإحباط من واقع القراءة والنشر في السياق العربي الراهن، إذ يُقرّ بأن مشروعه الكتابي لم يُحقق المستهدف المُأمّل على مختلف الأصعدة، وهو اعتراف صريح يكشف شجاعةً في المكاشفة الذاتية ونُدرةً بين الكتّاب العرب الذين يُفصحون علنًا عن إخفاقاتهم. ويعكس هذا الإحباط أيضًا بُعدًا سوسيوثقافيًا مهمًا يتصل بإشكاليات صناعة الكتاب وتراجع القراءة في العالم العربي.

"ثالثًا :البنية التكوينية لكتاب "أوراق مطوية

يقوم الكتاب على بنية تكوينية لافتة تجمع بين التنوع الموضوعي والتماسك الرؤيوي .فرغم تعدد المحاور والشخصيات والحقب التاريخية التي يطرحها الكتاب، يظل الخيط الرابط واحدًا هو" :تشريح وقائع الماضي "كما يُعلن العنوان الفرعي بوضوح .ويضمّ الكتاب ستة مباحث رئيسية يمكن إجمالها فيما يلي:

"أ .مبحث السياسة والزعامة الوطنية" :أسود واحد لا يكفي

،يتناول المبحث الأول الكتابَ الأسود المنسوب إلى محمد علي علوبة باشا ضد سعد زغلول باشا ويُفصّل فيه اتهامات موثّقة بالتجاوزات المالية والسياسية تمسّ ذمة زعيم الوفد، من بينها :تفريط سعد في حقوق مصر إزاء قضية قناة السويس، وتناقضات مواقفه إزاء قضايا المروءة والإنسانية كرفضه نقل رفات محمد فريد، واستدانته من صندوق الوفد مبالغ ضخمة تفصّلها وثائق يستعرضها المؤلف بأرقامها ومبالغها الدقيقة.

ويبرز في هذا المبحث توظيف المؤلف للوثيقة التاريخية - سواء أكانت كتابًا تاريخيًا مُهملًا أم سجلات مالية أم خطابات شخصية - بوصفها أداةً لكشف ما طُوي تحت ثقل القداسة الشعبية .كما يُعقّب المؤلف على هذه الوثائق بأسلوب نقدي استنتاجي يتراوح بين التسليم بها وبين التشكيك في بعض جوانبها.

"ب .مبحث الاقتصاد الوطني" :طلعت حرب ولبنات التحرر الوطني

يُفرد المؤلف مساحة واسعة لرائد الاقتصاد الوطني المصري محمد طلعت حرب باشا، معرضًا سيرته الكفاحية في مواجهة الاحتلال الاقتصادي عبر تأسيس بنك مصر وشركاته المتعددة، من الغزل والنسيج إلى السينما والطيران والملاحة البحرية .غير أن المؤلف لا يكتفي بالتمجيد المعهود، بل يتناول بجرأة واقعةً مُلتبسة تتعلق بتناقض موقف طلعت حرب من المصوّر محمد بيومي والخلاف حول الأحقية في فكرة شركة مصر للتمثيل والسينما.

ويبرز في هذا المبحث منهج المؤلف في مقارنة الروايات المتعارضة؛ إذ يواجه المؤلف ما جاء في مذكرات محمد بيومي من اتهامات لطلعت حرب بما جاء في المقال الوحيد المنشور لبيومي في مجلة الكواكب ،عام 1951م، ليستخلص أن المذكرات تتناقض مع ما أدلى به صاحبها في تصريح علني أقرب زمنًا للحادثة مما يُرجّح الرواية الأخيرة.

"ج .مبحث الشخصية الثقافية والاجتماعية" :حكايات العميد

يستحضر المؤلف شخصية طه حسين من زاوية مغايرة للمألوف :لا المعتوه ولا القديس، بل الإنسان المتناقض القادر على الشهامة والبخل في آنٍ، على الدعم والإقصاء في آن .ويُبنى المبحث على أربع حكايات موثّقة تُبرز إنسانية طه حسين وتعقيد شخصيته .تشمل هذه الحكايات :دعمه لطالب سوداني متوفى بإعادة

جثمانه إلى بلاده بالطائرة، وإسناده لعبد المعطي المسيري القهوجي البسيط الذي أثار جدلًا نقديًا، ودفاعه عن الفنانة روحية خالد في رسالة رسمية، وإعادته الرياضي خضر التوني إلى وظيفته بعد فصله.

"د .مبحث الأدب والسرقات الأدبية" :حفظ ماء الوجه

يتعامل المؤلف في هذا المبحث مع ظاهرة السرقات الأدبية في الثقافة العربية من منظور تاريخي مقارن، مستشهدًا بحوادث قديمة كواقعة ضمّ اثنتي عشرة قصيدة لكمال نشأت في ديوان إبراهيم ناجي الصادر عن وزارة الثقافة، ومحدّثًا بحوادث معاصرة .ويُفصح المبحث عن موقف نقدي صريح من ثقافة التمويه والمراوغة التي يُعبّر عنها المؤلف بمقولة "حفظ ماء الوجه".

"هـ .مبحث القضايا الدينية والفقهية" :قضايا حائرة على صفيح ساخن

يتناول المؤلف في هذا المبحث قضيتين دينيتين بالغتي الحساسية :قضية الطلاق الشفهي ومشكلاته القانونية، وقضية نقل الأعضاء البشرية .ويعتمد في تناولهما على وثائق أرشيفية قانونية وفقهية تاريخية .وينتهج مقاربةً عقلانية تدعو إلى التكامل بين المنظورين الديني والعلمي، رافضًا التناقض المصطنع بينهما .وهذا المبحث هو الأجرأ في الكتاب وفق ما يُلمّح إليه المؤلف نفسه.

"و .مبحث التاريخ القرآني" :رحلة القرآن الكريم من الجمع حتى الطباعة

يُمثّل هذا المبحث ذروة الجرأة الفكرية في الكتاب، إذ يطرح المؤلف تساؤلات تاريخية جوهرية حول إشكاليات الرواية المستقرة في جمع القرآن الكريم، مُستنيرًا بأمهات المصادر الحديثية والتاريخية كصحيح البخاري وكتاب المصاحف لابن أبي داود والمستدرك على الصحيحين .ويُفصّل المؤلف تساؤلاته بأسلوب منهجي يتدرج من إشكاليات الرواية إلى عرض وجهات نظره الخاصة بتحفظ ووعي بحدود الاجتهاد.

رابعًا :آليات تشريح وقائع الماضي عند محمد فتحي عبد العال

يمكن استجلاء المنظومة الآليّاتية التي يعتمد عليها المؤلف في تشريح وقائع الماضي من خلال الآليات الست الآتية:

الآلية الأولى :الوثيقة الأرشيفية معيارًا للحقيقة

تُعدّ الوثيقة الأرشيفية الركيزةَ المنهجية الأولى التي يرتكز عليها المؤلف في تشريح الوقائع .ولا تقتصر الوثيقة في الكتاب على الوثيقة الرسمية بمعناها الضيق، بل تمتد لتشمل طيفًا واسعًا من المرجعيات الموثّقة :المذكرات الشخصية، والخطابات الرسمية، وسجلات المعاملات المالية، والمقالات الصحفية المُؤرَّخة، والنصوص القانونية والقضائية، والتقارير الحكومية، والحوادث المرصودة في الصحافة الأرشيفية.

وتتجلى هذه الآلية بوضوح في المبحث الأول حين يُفصّل المؤلف بالأرقام الدقيقة وبالتواريخ الدقيقة سجلات ديون سعد زغلول لصندوق الوفد، مستندًا إلى ما وصفه بـ"دفتر أمانة الصندوق "و"صورة شمسية لمصادقة سعد على آخر حساب قُدِّم للوفد ."كذلك يستند في مبحث طه حسين إلى "مجموعة من التقارير لوزارة المعارف - مكتب السكرتير العام "وخطابات وزارية موثّقة بتواريخ دقيقة.

غير أن المؤلف لا يتعامل مع الوثيقة تعاملًا وثوقيًا ساذجًا، بل يُقابل بين الروايات ويُوازن بينها بمنهجية نقدية .ففي واقعة محمد بيومي مع طلعت حرب، يضع المؤلف مذكرات بيومي في مواجهة مقاله المنشور في مجلة الكواكب عام 1951م، مُستخلصًا أن المقالة الأقدم والأقرب زمنًا للحادثة تبقى "أدق لأنها تحمل تاريخًا حتى بعد نحو ثلاثين عامًا من الواقعة، لكن يبقى أفضل بكثير من المذكرات التي نجهل تاريخ وضعها وظروف كتابتها ."وهذا وعي منهجي سليم بهرمينوطيقا المصادر التاريخية.

"وفي مبحث الطلاق الشفهي يستحضر المؤلف "ورقة أرشيفية مرفوعة إلى مجلس أحكام مصرية تعود لعام 1882م، ويوظّفها لإثبات أن الأجداد مارسوا توثيق الطلاق بصورة سليمة قبل أن تشيع الفوضى في عصرنا .وهذا استخدام إبداعي للوثيقة الأرشيفية بوصفها حجةً على الاستمرارية التاريخية لا مجرد دليل وقائعي.

الآلية الثانية :إعادة قراءة الشخصية التاريخية في ضوء تناقضاتها

يرفض المؤلف القراءة الأيقونية للشخصية التاريخية التي تُصنّفها في خانة القداسة المطلقة أو الشيطنة المُطلقة على حدٍّ سواء .وبدلًا من ذلك، ينحو نحو قراءة تناقضية تعترف بحضور الخير والشر معًا في كل شخصية إنسانية .يُصرّح المؤلف بهذا المبدأ صراحةً" :لا يوجد شر كامل ولا خير مطلق ..الكل بشر".

وتتجلى هذه الآلية في معالجة شخصية سعد زغلول؛ فالمؤلف لا يُراهن على إسقاط أيقونة الزعيم الخالد بمجرد عرض الاتهامات، بل يُفرق بين الفضاء السياسي العام الذي اتخذت فيه قرارات الحشد الشعبي وبين المستوى الشخصي المالي والإنساني .كذلك في شخصية طلعت حرب يعترف المؤلف بالإنجاز الوطني الكبير، غير أنه لا يُمرّر واقعة محمد بيومي دون توقف نقدي.

أما الشخصية الأعمق تناقضًا في الكتاب فهي طه حسين؛ إذ يستحضر المؤلف موقفه الشهامي من الطالب السوداني والمسيري وروحية خالد وخضر التوني في مقابل موقفه الانتقائي من الشيوعيين والتلاميذ الجاحدين .وهذا التناقض لا يُبطل الأول ولا يُسوّغ الثاني، بل يُرسم الشخصية في كمالها الإنساني المعيب.

وتتميز هذه الآلية عند المؤلف بخاصية الأثر الأخلاقي؛ إذ لا يُشيّح المؤلف بوجهه عن حكم قيمي أحيانًا، لكنه يحرص على عدم الفصل في التجريح أو التبرئة قبل عرض المادة الوثائقية بحيادية كافية، مما يمنح القارئ حرية إصدار حكمه الخاص.

الآلية الثالثة :الربط التاريخي المقارن عبر الحقب والأنظمة

تتميز الكتابة التاريخية عند عبد العال بقدرة مُلفتة على المقارنة الأفقية والعمودية بين الحقب الزمنية المختلفة والأنظمة المتعاقبة .فهو لا ينظر إلى الحادثة التاريخية باعتبارها معزولةً في سياقها الزمني، بل يُوازن بينها وبين ما يماثلها في زمن آخر، مستخلصًا خيوط التشابه والاختلاف.

ويتجلى ذلك بوضوح في نهاية مبحث "أسود واحد لا يكفي "حين يُقارن المؤلف بين ما آلت إليه الأحزاب السياسية في مصر الملكية وما آلت إليه الأحزاب في السودان بعد انتفاضة 1985م، مُستنتجًا أن التسليم بالحكم للأحزاب في مصر بعد ثورة 1952م كان سيُفضي إلى السيناريو السوداني ذاته .وهذا استخدام للمقارنة التاريخية الدولية في خدمة التأويل المحلي.

كذلك يمتد الربط المقارن في مبحث "حفظ ماء الوجه "بين واقعة السرقات الأدبية عام 1961م وواقعة مماثلة عام 2021م، ليُثبت المؤلف استمرارية الظاهرة وتجذّرها عبر ستين عامًا .وفي مبحث الأذان يُقارن المؤلف بين موقف الدولة من الأذان في عهد الملك فؤاد وموقفها في عهد السادات وما بعده، ليُثبت تحوّلًا في العلاقة بين الدولة والهوية الإسلامية.

الآلية الرابعة :استدعاء الهامشي والمُهمَل والمنسيّ

يُولي المؤلف عنايةً خاصة باستحضار الشخصيات والوقائع التي أكلها التاريخ الرسمي أو أهملها الوجدان الجمعي .وتُعبّر هذه الآلية عن موقف فكري واضح من قصور التأريخ الرسمي في إنصاف كل الفاعلين التاريخيين، لا الأيقونات والزعماء فحسب.

فعبد المعطي المسيري القهوجي البسيط في مبحث "حكايات العميد "يُحتلّ مكانة مساوية لطه حسين وزير المعارف في الوصف والتحليل، مما يمنح الشخصية الهامشية هيبتها الأدبية والإنسانية .وخضر التوين البطل الأولمبي الذي مات صعقًا بالكهرباء وهو يُصلح الإضاءة لأبنائه يكتسب حضورًا لافتًا يتجاوز مجرد التوثيق التاريخي.

وتُسهم هذه الآلية في تشكيل رؤية التاريخ من أسفل، إذ تُصحّح المؤلف صورةَ التاريخ المحتكرة من قِبَل النخبة السياسية والفكرية، وتُدرج الطبقات الشعبية والشخصيات الثانوية شريكةً فاعلة في صناعة الأحداث.

الآلية الخامسة :انفتاح التاريخ على الدين والعلم والقانون

يُميّز الكتاب تجاوزُه للحدود التصنيفية المعيارية للتأريخ التقليدي الذي يلتزم بخطٍّ أحادي البُعد. فعبد العال يُوسّع مفهوم "التشريح التاريخي "ليطال المسألةَ الدينية والحكمَ الفقهي والنصَّ العلمي والإجراءَ القانوني، معاملًا إياها جميعًا باعتبارها وقائعَ تاريخيةً قابلة للنقد والاستقراء.

يتجلى ذلك بأجلى صوره في مبحث نقل الأعضاء الذي يجمع بين استحضار الفتوى الفقهية التاريخية لجاد الحق عام 1979م والبحث الطبي الحديث حول أخطار هرمون النمو المستخرج من الجثث وعلاقته

بمرض الزهايمر .وهذا الجمع بين العلم والفقه في معالجة قضية واحدة يُمثّل نموذجًا في الكتابة التكاملية التي تهرب من ثنائية الديني والعلماني.

كذلك في مبحث القرآن الكريم يستحضر المؤلف نصوصًا حديثية كاملةً بأسانيدها من صحيح البخاري والمستدرك وكتاب المصاحف لابن أبي داود، ويُحلّلها بأدوات النقد التاريخي لا بمجرد أدوات علم الحديث. وهذا تجاوز إبداعي لحدود التخصص يُثري الكتاب من حيث يُثير بعض الحساسية المنهجية.

الآلية السادسة :السيرة الذاتية محركًا للنص وحاضنًا للرؤية

يُشكّل الحضور الذاتي للمؤلف في الكتاب ظاهرةً لافتة تستحق الدراسة .فعبد العال لا يكتب كمؤرّخ مُتعالٍ على المادة التي يُحلّلها، بل يُقحم ذاتَه الواعية والمتسائلة في النص بوصفها محرّكةً للسؤال ومُحرّضةً على البحث .ففي مبحث القرآن الكريم يُبوح المؤلف بأن هذه التساؤلات تُلازمه منذ المرحلة الثانوية وظلّ يكتمها في الأوساط المحافظة، مما يُضفي على البحث طابعًا سيريًا معرفيًا فريدًا.

كذلك في التقديم يُفصح عن مشاعر الإحباط والمراجعة التي تبرر في نظره سرعة إنجاز الكتاب وضمّ المبحثين الدينيين إليه خشيةَ "كتمان علم ."وهذا نموذج في الكتابة التوثيقية للذات الكاتبة التي تُعرّي نفسها أمام القارئ بشجاعة نادرة.

ويتخلل الحضور الذاتي النص في صورة خطاب مباشر للقارئ "يا عزيزي القارئ "يُعيد العلاقة بين الكاتب والمتلقي إلى مستوى الحوار الشخصي، مما يكسر وهمَ التاريخ الموضوعي المُحايد ليُعلن بوضوح أن المُؤرِّخ دائمًا إنسانٌ يقرأ ماضيًا من حاضر مُعاش.

خامسًا :الإشكاليات المنهجية في الكتاب

لا يخلو الكتاب رغم قيمته من جملة إشكاليات منهجية تستحق الرصد والتأشير النقدي:

إشكالية الذاتية والانحياز .1

يُعاني الكتاب أحيانًا من انحياز ذاتي واضح يتجلى في نبرة السخرية الانتقادية تجاه بعض الشخصيات، ولا سيما في المبحث الأول المتعلق بسعد زغلول .ففي حين يُقدّم المؤلف اتهامات علوبة باشا بوصفها حقائق تاريخية محسومة في أغلب الأحيان، فإنه يُهمل التذكير بأن هذه الاتهامات وردت في سياق صراع حزبي حاد قد يُشكّك في حياديتها .ويُقرّ المؤلف نفسه بهذه الإشكالية نظريًا حين يقول "لا يوجد شر كامل"، غير أن الممارسة النصية لا تُحقق دائمًا هذا التوازن المُعلَن.

إشكالية التسرع في الاستنتاج .2

يميل المؤلف في بعض المواضع إلى التسرع في استخلاص نتائج قاطعة من مقدمات لا تكفي وحدها لحسمها .وهذا واضح في مبحث رحلة القرآن الكريم الذي يُثير تساؤلات ممتازة تاريخيًا وعقليًا، لكن استنتاجاته أحيانًا تتجاوز الحجج الموضوعية المُقدَّمة، وهو ما يُضعف أحيانًا مصداقية الاستنتاج أمام القارئ المتمرس في علوم الحديث والتفسير.

3. إشكالية التوثيق

تتفاوت دقة التوثيق في الكتاب بين مبحث وآخر؛ ففي بعض المواضع يُحيل المؤلف إلى كتبه السابقة عوضًا عن المصدر الأصلي المباشر، وهو أمر مقبول أحيانًا لكنه يُخلّ بمتطلبات التوثيق الأكاديمي الصارم. كما أن التمييز بين "على سبيل الاستئناس "وبين الاحتجاج المباشر بالوثيقة يظل ملتبسًا في بعض المقاطع.

4. إشكالية التنوع الموضوعي المُفرِط

يُشكّل التنوع الموضوعي الواسع الذي يمتد من السياسة إلى الاقتصاد فالأدب فالفقه فتاريخ القرآن قوةً جوهرية للكتاب في آنٍ وإشكاليةً منهجية .فهذا التوسع يُوحي أحيانًا بغياب التخصص العميق، إذ لا يمكن لكاتب واحد مهما اتسعت ثقافته أن يتحقق في كل هذه الحقول بالعمق ذاته .وما يُعوّض ذلك جزئيًا هو الوعي النقدي الصادق الذي يُميّز الكاتب من المدّعي.

سادسًا :الخاتمة والنتائج

خلصت هذه الدراسة إلى جملة من النتائج الرئيسية يمكن إجمالها فيما يلي:

1. يُمثّل كتاب "أوراق مطوية "نموذجًا ناضجًا في الكتابة التاريخية الشعبية المُحكَمة التي تجمع بين الريادة الشعبية في الأسلوب والرصانة المنهجية في التعامل مع المصادر، وإن ظلّت تحتاج إلى مزيد من الانضباط التوثيقي.

2. تنبني الكتابة التشريحية التاريخية عند محمد فتحي عبد العال على ست آليات متكاملة تتشابك فيما بينها: الوثيقة الأرشيفية معيارًا للحقيقة، وقراءة الشخصية التاريخية في تناقضاتها، والربط المقارن عبر الحقب، واستدعاء الهامشي والمنسيّ، وانفتاح التاريخ على العلم والدين والقانون، والسيرة الذاتية محركًا للنص.

3. يتبنى المؤلف فلسفةً تاريخية واضحة ترفض القراءة الأيقونية للشخصيات، وتُقرّ بالتناقض الإنساني، وتسعى إلى استجلاء الحقيقة المُعقّدة في مواجهة السرديات المُبسَّطة.

4. يكشف الكتاب بوضوح أن الكتابة التاريخية الشعبية يمكن أن تكون أداةً معرفيةً بالغة الفاعلية حين تُزاوج بين الوثيقة والنقد والسرد الجذاب، بعيدًا عن الثنائية الزائفة بين الأكاديمية المُملّة والشعبوية الفارغة.

5. تُثير تجربة عبد العال في هذا الكتاب تحديدًا حاجةً ماسةً إلى تأسيس ميدان بحثي نقدي عربي متخصص في نقد الخطاب التاريخي الشعبي وتقييم آلياته ومعاييره.

وفي ختام هذه الدراسة، يُشير الباحث إلى أن كتاب "أوراق مطوية "ينتمي إلى نوع نادر من الكتابة التي تُكسر الفجوة بين القارئ العام والمؤرخ المتخصص، مُقدِّمةً التاريخ بوصفه مسألةً حيّةً تمسّ الراهن لا أرشيفًا ميتًا مُغلقًا .وهذه القيمة وحدها كفيلة بأن تجعل من الكتاب مُتنفّسًا ثقافيًا ضروريًا في عصر يتراجع فيه ذوق القراءة واحترام الذاكرة التاريخية .وإن كان المؤلف يُصرّح بأن هذا الكتاب ربما يكون الأخير، فيرى الباحث في هذا التصريح دعوةً مُضمرةً للمؤسسة الثقافية أن تُنصف أمثاله ممن يجمعون بين الموهبة والمنهج والشجاعة الأدبية.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا :المصادر الأولية

- عبد العال، محمد فتحي)2024 .(أوراق مطوية :تشريح وقائع الماضي .القاهرة :ديوان العرب للنشر والتوزيع.

- ابن أبي داود، أبو بكر عبد الله)ت 316هـ .(كتاب المصاحف .تحقيق محب الدين واعظ .بيروت :دار البشائر الإسلامية.

- البخاري، محمد بن إسماعيل)ت 256هـ .(الجامع الصحيح .تحقيق محمد زهير الناصر .دار طوق النجاة.

- الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله)ت 405هـ .(المستدرك على الصحيحين .تحقيق مصطفى عبد القادر عطا .بيروت :دار الكتب العلمية.

- ابن تغري بردي، أبو المحاسن)ت 874هـ .(النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة .القاهرة :المؤسسة المصرية العامة.

- المقريزي، أحمد بن علي)ت 845هـ .(السلوك لمعرفة دول الملوك .تحقيق محمد عبد القادر عطا .بيروت: دار الكتب العلمية.

ثانيًا :المراجع العربية

- الدسوقي، محمد)2005 .(طه حسين يتحدث عن أعالم عصره .القاهرة :دار المعارف.

- القليوبي، محمد كامل .أوراق محمد بيومي .القاهرة :الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- الشناوي، كامل .مقالات مختارة .أرشيف صحيفة الأهرام.

- علوبة باشا، محمد علي .ذكريات اجتماعية وسياسية .القاهرة)مخطوط أرشيفي(.

- الأصفهاني، أبو الفرج .الأغاني .بيروت :دار صادر .

ثالثًا :المراجع الأجنبية

- White, Hayden (1973). Metahistory: The Historical Imagination in Nineteenth-Century Europe. Johns Hopkins University Press.

- Foucault, Michel (1972). The Archaeology of Knowledge. Pantheon Books.

- Thompson, E.P. (1963). The Making of the English Working Class. Victor Gollancz.

الأبحاث بأداة deep seek للذكاء الاصطناعي

البحث الأول

Humanistic Approach in Scientific Historiography
النزعة الإنسانية في التأريخ العلمي: دراسة في كتب "شج رأس التاريخ" و"هوامش على دفتر أحوال مصر"

مقدمة
يمثل الدكتور محمد فتحي عبد العال نموذجًا فريدًا في التأريخ المصري المعاصر، حيث يجمع بين تكوينه العلمي كصيدلاني وباحث في الكيمياء الحيوية، واهتمامه العميق بالتاريخ والتراث. في كتابيه "شج رأس التاريخ" و"هوامش على دفتر أحوال مصر"، يقدم المؤلف منهجًا تأريخيًا متميزًا يقوم على النبش في أرشيف الصحافة المصرية القديمة، لإعادة قراءة التاريخ من منظور إنساني يركز على البسطاء والمهمشين. يتناول هذا البحث طبيعة النزعة الإنسانية في تأريخ الدكتور محمد فتحي عبد العال، وكيف تبلورت هذه النزعة في منهجه العلمي، وما القيم الإنسانية التي يسعى لترسيخها من خلال كتاباته التاريخية.

أولاً: الإطار المنهجي للتأريخ عند عبد العال
1.الصحافة أرشيفًا للتاريخ الإنساني
يؤسس الدكتور محمد فتحي عبد العال منهجه على اعتبار الصحافة القديمة نافذة أساسية لفهم التاريخ الإنساني. فهو لا يكتفي بالوثائق الرسمية أو كتب التاريخ التقليدية، بل يتجه إلى أرشيف الصحف والمجلات المصرية القديمة، مثل "المصور"، و"آخر ساعة"، و"اللطائف المصورة"، و"الأهرام"، وغيرها. هذا التحول في مصدر المادة التاريخية يعكس نزعة إنسانية عميقة، فالصحافة بطبيعتها تسجل تفاصيل الحياة اليومية للناس، همومهم البسيطة، جرائمهم، أفراحهم، أحزانهم، مشاكلهم الأسرية والاجتماعية. بتتبع هذه المصادر، يستطيع المؤرخ أن يلامس نبض المجتمع بشكل أكثر صدقًا مما تقدمه الوثائق الرسمية التي تعبر غالبًا عن وجهة نظر النخبة والحكام.

يفرد الدكتور عبد العال في "هوامش على دفتر أحوال مصر" فصولاً كاملة لقضايا اجتماعية وجنائية وإنسانية، يقدم فيها صوراً حية من واقع الناس: "من ملفات حوادث وقضايا الماضي"، "قضايا القتل"، "قضايا الإهمال"، "جرائم خطف وقتل الأطفال والنساء"، "قضايا الرقيق الأبيض". هذه العناوين وحدها تشير إلى اهتمامه بالإنسان العادي، لا بالأبطال والقادة فقط.

2.التأريخ من الأسفل(History from Below)
يتسق منهج الدكتور عبد العال مع ما يُعرف في الكتابات التاريخية الغربية بـ "التاريخ من الأسفل" (History from Below)، وهو توجه يهتم بتدوين تاريخ الفئات المهمشة والعادية، بدلاً من التركيز فقط على تاريخ النخب والأباطرة والملوك. نجده يقول في مقدمة كتابه "هوامش على دفتر أحوال مصر": "في هذا الكتاب سوف أرسم لك تاريخاً جماً أبطاله من العوام والبسطاء والمجهولين من واقع أرشيف الصحافة المصرية الممتد، ستجد جدي وجدك وقريبك وقريبي، وستجد هؤلاء الذين مروا بهذه الأرض وزرعوا ولو بذرة صغيرة في أرض قاحلة، ولم يحفظ لهم التاريخ ذكراً أو بعضاً من أثر". هذه العبارة المؤثرة تلخص جوهر نزعته الإنسانية: إعادة الاعتبار للإنسان العادي الذي ساهم في بناء الوطن لكنه ظل مجهولاً.

3.المزج بين العلم والأدب والتاريخ
يتميز الدكتور عبد العال بتكوينه العلمي كصيدلاني حاصل على الماجستير في الكيمياء الحيوية، ومع ذلك فهو روائي وقاص وباحث تاريخي. هذا المزيج الفريد يمنح كتاباته طابعًا خاصًا؛ فالمنهج العلمي يمنحه الدقة في التعامل مع المصادر والتوثيق، والموضوعية في التحليل، بينما يمنحه الأدب قدرة على السرد الجذاب والتصوير المؤثر.

كما أن اهتمامه بالدراسات الإسلامية يضفي على كتاباته بُعدًا أخلاقيًا وقيميًا واضحًا. هذه الخلفية العلمية والأدبية والدينية تجتمع لتشكل رؤية إنسانية متكاملة، تتجاوز السرد التاريخي الجاف إلى تحليل نفسي واجتماعي وأخلاقي للشخصيات والأحداث. تجده يعلق على القضايا التي يعرضها بتساؤلات عميقة، ويقارن بين الماضي والحاضر مستخلصًا الدروس والعبر.

ثانيًا: تجليات النزعة الإنسانية في القضايا التاريخية

.1كشف معاناة المهمشين والبسطاء

يتوقف الدكتور عبد العال مطولاً أمام معاناة الفئات المهمشة في المجتمع المصري عبر العصور. في "هوامش على دفتر أحوال مصر"، يخصص مساحة كبيرة لمناقشة قضايا الفقر، الباعة الجائلين، المرضى، العمال، النساء، والأطفال. ينقل من الصحف القديمة صوراً مؤثرة للحفاة في شوارع مصر، للأطفال الذين لا يجدون ما يأكلون، للباعة الجائلين الذين يطاردهم البوليس ومفتشو الصحة.

ومن أبرز القضايا التي يثيرها قضية الباعة الجائلين: "من القضايا شديدة التأصل في مصر والمرتبطة بالفقر هي قضية الباعة الجائلين، وهي مشكلة أزلية بل حل تضع البائع بين خيارين إما الجريمة أو البيع بالمخالفة للقانون". ثم ينقل شهادة مؤثرة عن أحد الباعة الذي حاول الانتحار رمياً بنفسه على قضبان الترام "فراراً من جند ولوائح البوليس وتضييقهم عليه وعلى غيره من الباعة الجائلين". هذا النوع من السرد يجعل التاريخ قريباً من القارئ، ويشعره بألم الإنسان في الماضي كما يشعر به في الحاضر، لأن قضايا الفقر والتهميش تتكرر بتجليات مختلفة عبر الزمن.

.2الدفاع عن كرامة المرأة

تحتل قضايا المرأة حيزاً مهماً في كتابات الدكتور عبد العال. يناقش بجرأة موضوعات مثل الطلاق، الخلع، تعدد الزوجات، حقوق المرأة في التعليم والعمل، وأيضاً قضايا العنف ضد المرأة. في "شج رأس التاريخ"، يخصص السؤال العاشر لمناقشة قضايا الخلع والطلاق للضرر، ويقدم أمثلة تاريخية من وثائق المحاكم الشرعية القديمة.

من الطريف أنه يقدم نموذجاً لاتفاق زواج بين الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي وزوجته، يتضمن بنداً واضحاً يمنع فيه الزوج عن نفسه التعدد: "الزمت اكتب الأحرف رفاعة بدوي رافع بلنت خاله المصونة الحاجة كريمة... أنه يبقى معها وحدها على الزوجية دون غيرها من زوجة أخرى أو جارية". هذا النموذج يقدمه ليقارن بين عظمة النص الشرعي الذي يكرم المرأة، وجمود بعض التفسيرات التي تنتقص من كرامتها.

كما يناقش قضايا عمل المرأة وسفرها للدراسة بالخارج، ويعرض قضية الطبيبة التي أرادت إكمال بعثتها العلمية في لندن بينما يعارضها زوجها. هذه القضية، التي يعرضها بالتفصيل في "هوامش على دفتر أحوال مصر"، تعكس الصراع بين الرؤية التقليدية التي ترفض سفر المرأة وتغربها، وبين رغبتها في التقدم العلمي والمعرفي.

.3الجرائم الإنسانية: بين الضحية والجاني

لا يكتفي الدكتور عبد العال بعرض الجرائم بشكل إخباري جاف، بل يتعمق في الأبعاد الإنسانية والنفسية والاجتماعية لها. في قضية القتل التي يعرضها في بداية "هوامش على دفتر أحوال مصر" عن اتهام السيدة فاطمة هانم صبيح بقتل زوجها بدس السم، نراه يحلل الدوافع ويقدم قراءات متعددة للواقعة، ويطرح تساؤلات حول الإجراءات الجنائية والتشريحية التي كان ينبغي اتباعها: "ما هو المرض الخبيث الذي أخفاه عن طبيبه الخاص؟ ما هو الدواء أو المقوي المستخدم؟ كم الجرعة؟ وما هي نسبة الزرنيخ فيه؟."

أما في "شج رأس التاريخ"، فيناقش بالتفصيل جريمة "سفاح السويس" وقضية "أحمد أبو الذهب" الذي قتل النساء في مصر وتركيا ومرسيليا. لكنه لا يتوقف عند إثارة الرعب أو التشفي في الجريمة، بل يحاول أن يفهم السياق الاجتماعي والنفسي الذي أنتج هذه الظواهر الإجرامية.

.4الفجوة الطبقية وتأثيرها على حياة الناس

من أبرز مظاهر النزعة الإنسانية في كتابات الدكتور عبد العال، تسليطه الضوء على الفجوة الطبقية الهائلة في المجتمع المصري عبر العصور. يعرض نماذج من الثراء الفاحش لبعض الأمراء والوزراء والتجار، مقابل فقر مدقع للغالبية العظمى من الشعب.

في "شج رأس التاريخ"، يخصص السؤال الثالث لمناقشة ثراء رياض باشا وإسماعيل باشا راغب، وكيف حققا ثروات طائلة رغم بداياتهما المتواضعة، متسائلاً: "من أين لرياض باشا وإسماعيل باشا كل هذا الثراء الفاحش والسريع مع أن بداياتهما كانت شديدة التواضع؟!". ويقدم وثائق تاريخية تكشف تضخم ثروات هؤلاء على حساب خزينة الدولة المصرية وشعبها الجائع العاري.

ثم يعقب بمرارة بالغة: "تأمل معي حجم هذا الثراء الخيالي في بلاد شعبها جلّه عراة وجوعى وحفاة ولا يوجد بها قانون يحاسب المسؤول من أين لك هذا؟!". هذا التساؤل هو جوهر النزعة الإنسانية في التأريخ: محاسبة السلطة والثروة باسم البسطاء المهمشين.

ثالثًا: القيم الإنسانية التي يسعى المؤرخ لترسيخها

1.العدالة الاجتماعية والتوزيع العادل للثروة

يدعو الدكتور عبد العال بشكل غير مباشر إلى ضرورة العدالة الاجتماعية والتوزيع العادل للثروة. في كتابيه العديد من المواقف الناقدة للثراء الفاحش والاستغلال الطبقي. حين يعرض أرقام مخصصات الخديوية وأفراد الأسرة المالكة في موازنة الدولة، ويقارنها بمخصصات الصحة العامة والزراعة مثلاً، فإنه يُظهر حجم الظلم الهيكلي الذي عانى منه الشعب المصري عبر التاريخ.

2.كرامة العمل والإتقان

يخصص السؤال السابع في "شج رأس التاريخ" لمناقشة قضية العمل من خلال فيلم "الأيدي الناعمة". يحلل الفيلم تحليلاً عميقاً، ويرى فيه رسالة إنسانية عن قيمة العمل والكرامة التي يمنحها للإنسان. يقول: "قيمة العمل لا تضاهى ولا تشرف، إن دوره في مجتمعه وإسهامه في النهوض به هو معيار قيمته الحقيقية في مجتمعه وليس بالمركز الاجتماعي الموروث فقط أو بالعلم وحده دون تطبيق."

هذه الرؤية تعكس إيمانه العميق بالإنسان المنتج، وأن معيار التفاضل بين الناس هو عطاؤهم وإنتاجهم وليس أصولهم الاجتماعية أو ثرواتهم الموروثة.

3.التسامح الديني والإنساني

يحرص الدكتور عبد العال على إبراز قيم التسامح الديني في المجتمع المصري عبر العصور. يعرض في "هوامش على دفتر أحوال مصر" كيف أن الأهرام كانت تنشر أخبار وفيات المصريين دون تمييز بين مسلم وقبطي ويهودي، وكيف أن أهل مصر تعاونوا بلا تفرقة في الشدائد.

ويعلق على هذا بقوله: "لقد فهم الرعيل الأول للصحافة أكثر من المتقدمين معنى ومغزى قوله تعالى في سورة البقرة: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}". هذا الاستشهاد القرآني يظهر أنه يرى في التسامح الديني قيمة إسلامية أصيلة قبل أن تكون قيمة إنسانية عامة.

4.نبذ التمييز الطبقي والعرقي

يقدم الدكتور عبد العال في "هوامش على دفتر أحوال مصر" قصصاً متعددة عن التمييز الطبقي في مصر القديمة، سواء في نوادي الفروسية التي كانت تمنع أبناء الفلاحين من الانضمام إليها، أو في معاملة الخدم والطبقات الدنيا.

ينقل حادثة طريفة من أرشيف الصحافة عن رئيس الوزراء الذي قال لسعادة محمد طاهر باشا على رؤوس الأشهاد: "إنه فلاح ابن فلاح ويتشرف بالانتساب إلى الفلاحين، وأنّ حكومة جلالة الملك الديمقراطي لا تسمح بعودة نظام التفرقة بين الطبقات."

5.التوازن بين الجسد والروح

يأخذنا الدكتور عبد العال في رحلة فريدة داخل الأرشيف المصري القديم، حيث يستخرج لنا إعلانات قديمة عن رجال "الأسرار" والمشعوذين الذين كانوا يبيعون الوهم للناس، وفي الطرف الآخر من الصورة إعلانات عن الجمعيات الخيرية ومستشفيات الفقراء، وكتباً في الصحة والغذاء والنظافة.

ومن أطرف ما يعرضه حديثه عن "كعك العيد" في "شج رأس التاريخ"، حيث يقدم دراسة موضوعية تجمع بين التحليل الاجتماعي والتاريخي والطبي، فيبين قيمة الكعك كعادة اجتماعية وتعبيراً عن الترابط الأسري، ثم يحلل مكوناته الغذائية وفوائدها وأضرارها، ويدعو إلى الاعتدال في كل شيء.

هذا الاهتمام بالجسد والصحة، إلى جانب الاهتمام بالروح والأخلاق والقيم، يعكس نزعة إنسانية متكاملة تنظر إلى الإنسان ككل متكامل.

رابعًا: النقد الاجتماعي والنفسي في الرؤية التاريخية

1. نقد الأنا الفردية والجماعية

يمتاز الدكتور عبد العال بقدرة فائقة على تحليل الشخصيات من زاوية نفسية واجتماعية. في تحليله لشخصية "عبده الحامولي" في السؤال الثامن عشر من "شج رأس التاريخ"، يناقش قضية الوفاء للمرأة في عالم الرجل، ويظهر كيف أن الإنسان قد تتغير أولوياته بتغير مراحل عمره، وكيف أن الإبداع الفني لا يعني بالضرورة النضج الإنساني أو الأخلاقي.

يقول في معرض تحليله: "عبده الحامولي يمثل حياة الفن بصخبه وعلاقاته المتعددة.. حينما تقدم به العمر لم تكن على أولوياته المرأة كما كان الوضع في عنفوان الشباب بل أصبح أقصى مراده أن يعيش في ستر". هذه النظرة الواقعية الإنسانية، التي لا تخلو من العتاب والمرارة، تعكس نضجاً في الرؤية التاريخية.

2. نقد ثقافة المديح والنفاق

يعرض الدكتور عبد العال نماذج صارخة من كتب المديح التي كانت تقدم للحكام والأمراء بعبارات تصل إلى حد النفاق والانبطاح. في "هوامش على دفتر أحوال مصر"، يقدم فصلاً كاملاً عن "من أدب الرسائل والإهداءات والخطابة والاقتباسات وصنوف المديح... في الزمن الماضي". ويختار نماذج مثل إهداء أحمد محمد حسين باشا للملك فؤاد في كتابه "في صحراء ليبيا"، أو إهداء أمير الشعراء أحمد شوقي للخديوي عباس حلمي الثاني في "نهج البردة."

لكنه لا يكتفي بعرض هذه النماذج، بل يحللها وينتقدها. في إشارته إلى شوقي، يقول: "ما أتمناه صدقاً أن تزول هالة التقديس لدى بعض الكتاب الإسلاميين حول شوقي، فقد كان الرجل يعاقر الخمر طيلة حياته وحتى وفاته". هذا النقد الجريء يعكس نزعة إنسانية ترفض تقديس البشر مهما بلغت مكانتهم، وتدعو إلى محاكمتهم بميزان واحد من القيم والأخلاق.

3. نقد الصحافة وتأثيرها في تشكيل الوعي

يمثل الفصل الرابع من "هوامش على دفتر أحوال مصر" تحت عنوان "الصحافة زمان.. سيرة أخرى" نموذجاً رائداً لنقد الإعلام وتأثيره في المجتمع. يناقش الدكتور عبد العال سلبية بعض الممارسات الصحفية، مثل البحث عن الأخبار السريعة، المقالات تحت الطلب، الأقلام المأجورة، إثارة الغرائز، اصطناع وتضخيم الأخبار الهزيلة، واستعراض ملفات المرأة بشكل مبتذل.

يقدم نماذج من مجلات الأربعينيات التي كانت تضع صوراً شبه عارية لفتيات على أغلفتها، أو تستطلع آراء الرجال في نظراتهم للمرأة وأي جزء من جسدها يجذبهم أولاً. ثم يقدم نموذجاً لصحيفة "التيمس المصري" التي انتقدت وزيراً مصرياً ارتدى "برنيطة" بدلاً من "الطربوش" في مؤتمر دولي، معتبرة ذلك خروجاً عن التقاليد.

هذا النقد المبكر للإعلام يعكس وعياً مبكراً بأهمية دور الإعلام في تشكيل الوعي الجمعي، وخطورة بعض الممارسات الصحفية التي تقدم المحتوى الهابط والساذج والمثير على حساب القضايا الجادة والمفيدة.

خامسًا: الإنسانية والتوثيق العلمي

1. الصدق الأمانة في نقل المادة التاريخية

يحرص الدكتور عبد العال في كتاباته على أعلى درجات الصدق والأمانة في نقل المادة التاريخية. فهو لا يتلاعب بالوثائق، ولا يقتطعها من سياقها، ولا يخفي ما يخالف رأيه. بل يقدم المادة كما هي، ويشير إلى هوامش الشك وعدم اليقين كلما لزم الأمر.

في "شج رأس التاريخ"، حين يناقش قضية "الصيدلي الطيب" الذي توفي من فرط العمل، يعلق: "طبعاً الشيخ الطيب لم يشأ أن يزيد على الرجل في محنته وتحمل دينه في صبر واحتساب". هذا الصدق في عرض المادة الإنسانية دون مبالغة، يعكس نضجاً في الرؤية التاريخية.

.2التوثيق بالصور والوثائق الأصلية
من مظاهر النزعة العلمية في تأريخ الدكتور عبد العال، إلحاقه كتاباته بالصور والوثائق الأصلية التي تعزز رواياته وتقرب القارئ من الماضي. في "شج رأس التاريخ" و"هوامش على دفتر أحوال مصر"، يجد القارئ صوراً من أعداد الصحف القديمة، ووثائق المحاكم الشرعية، وخطابات الأفراد الرسمية والشخصية.

هذه الصور والوثائق ليست مجرد ديكور، بل هي أدلة وشواهد على ما يرويه، وهي تمنح القارئ إحساساً بأنه يلمس التاريخ بأصابعه، لا مجرد قراءة حكايات قد لا تكون صحيحة.

.3التواضع العلمي والاعتراف بحدود المعرفة
أبرز مظاهر النزعة الإنسانية في منهج الدكتور عبد العال، هو تواضعه العلمي الواضح. فهو لا يدعي أنه يملك الحقيقة المطلقة، ولا يخفي قصور معلوماته عن بعض القضايا. في كتابيه، نراه يعترف في أكثر من موضع أنه لم يتمكن من الوصول إلى إجابات قاطعة لبعض الأسئلة التي أثارتها وثائق قديمة، كقضية زوجات الأمير محمد داود باشا في "شج رأس التاريخ."

يقول في أحد المواضع: "لكن ما هي أسباب الخلع والانفصال لعدة مرات فهي أسئلة لم أعثر لها على إجابة وأنا في طور الإعداد لهذا المبحث". هذا الاعتراف بالعجز لا يضعف من قيمة عمله التاريخي، بل يزيده مصداقية وإنسانية، لأنه يظهر القارئ أن المؤرخ إنسان يبحث ويتساءل ولا يدعي المعرفة المطلقة.

ويقول في "هوامش على دفتر أحوال مصر": "من العسير أن تتبع مسار قضايا صغيرة كتلك قد تطول لسنوات عبر أرشيف من خلال قد يسعد طالعك إن وجدت عدة أعداد متتالية لعام واحد من لدى أحد باعة الصحف... ولذلك فهذه القضايا الغرض منها في هذا المبحث ليس التشهير أو التصيد للآخرين ممن وراهم الثري... إنما النصح والاعتبار من أجل حاضر ومستقبل أفضل وفقط". هذا التصريح يعكس بوضوح الهدف الإنساني لكتاباته: العبرة والموعظة، لا التشهير أو التصيد.

سادسًا: الخلفية العلمية والدينية وأثرها في الرؤية الإنسانية
.1التوازن بين الدين والعلم
يتميز الدكتور عبد العال بمنظور فريد جمع فيه بين التدين والانفتاح على العالم بكل تعقيداته. تأتي إشارته إلى قصته مع المعهد الإسلامي الأمريكي الذي فرض حضوراً يومياً إلزامياً عبر زووم، وإصرار بعض الأساتذة على أن الطالب لا يحق له السؤال عن مؤهلات الأستاذ. هذه التجربة جعلته يعيد التفكير في مفهوم "التواصل الفعال" في مجتمعاتنا.

هذا التوازن يجعله قادراً على تقديم رؤية تاريخية لا تقع في مطب القداسة لأي شخص أو فكرة، ولا في مطب الإلحاد أو الرفض المطلق للدين. هو يقدس الإنسان لا الشخصيات، ويقدس القيم لا الشكليات.

.2العلم والتكنولوجيا في خدمة الإنسان
استخدامه للعلم والتكنولوجيا (أرشيف الصحف الرقمي، الكتب الإلكترونية، المشاركة في كتابات جماعية على وسائل التواصل) يظهر كيف يمكن للعلم الحديث أن يخدم الإنسانية ويحقق أهدافاً إنسانية كالحفاظ على التراث وتوثيقه وتيسير الوصول إليه.

في مؤلفاته الإلكترونية، مثل كتابه "نسائم القلب (هايكو)"، "الزعيم وظليله"، وغيرهما، يظهر حرصه على مواكبة العصر الرقمي واستخدامه كوسيلة لنشر الوعي والمعرفة. هذا الجمع بين البحث في الماضي العريق واستخدام أحدث وسائل التكنولوجيا في النشر، يعكس نزعة إنسانية تؤمن بأن المعرفة حق للجميع، وأن العلم وسيلة لخدمة الإنسان بغض النظر عن حدود الزمان والمكان.

خاتمة

في "شج رأس التاريخ" و"هوامش على دفتر أحوال مصر"، يقدم الدكتور محمد فتحي عبد العال نموذجاً متكاملاً للتأريخ الإنساني، يقوم على مجموعة من المبادئ والخصائص:

المنهجية العلمية الدقيقة: من خلال العودة إلى أرشيف الصحافة القديمة كمصدر أساسي للمادة التاريخية، مع توثيق الصور والوثائق الأصلية.

التاريخ من الأسفل: التركيز على قصص البسطاء والمهمشين والمجهولين الذين لم يكتب لهم التاريخ التقليدي مكاناً.

الوعي الطبقي والنقد الاجتماعي: فضح الفجوات الطبقية الهائلة، ونقد الثراء على حساب الفقر المدقع، والدعوة إلى عدالة اجتماعية.

الدفاع عن قضايا المرأة: مناقشة قضايا المرأة بجرأة وعلمية، وتقديم نماذج من الماضي تعكس قوتها وحقوقها.

التسامح الديني والإنساني: إبراز قيم التسامح والتعايش التي تميز بها المجتمع المصري عبر العصور.

النقد الذاتي والمهني: نقد الممارسات الصحفية والفنية والاجتماعية الخاطئة، دون تقديس لأي شخص أو مؤسسة.

الصدق والأمانة والتواضع العلمي: الاعتراف بحدود المعرفة، وعدم التكهن فيما لا يمكن التحقق منه.

يمكن القول إن الدكتور محمد فتحي عبد العال قد نجح في تأسيس مدرسة فريدة في التأريخ المصري، تجمع بين الدقة العلمية والعُمق الإنساني، وبين البحث في الماضي والاهتمام بقضايا الحاضر، وبين التكوين العلمي والموهبة الأدبية. كتاباته تمثل إضافة نوعية للمكتبة التاريخية العربية، وتفتح آفاقاً جديدة للتأريخ الإنساني الذي يضع الإنسان في قلب العملية التاريخية، لا مجرد رقم في إحصاء، أو اسم في سياق أحداث كبرى.

البحث الثانى

Article Literature Study Mohamed Fathi Abdel Aal

أدب المقالة بين التوثيق العلمي والتشويق السردي: دراسة فى المقالات المنشورة للكاتب محمد فتحى عبد العال

مقدمة

يمثل الدكتور محمد فتحي عبد العال نموذجًا فريدًا في المشهد الثقافي المصري المعاصر، حيث يجمع بين التكوين العلمي في الصيدلة والكيمياء الحيوية، والاهتمام العميق بالدراسات الإسلامية والتاريخية، مع موهبة أدبية متميزة تتجلى في أسلوبه المقالي الفريد. يتناول هذا البحث الخصائص الأسلوبية والمنهجية في مقالات الكاتب المنشورة ضمن كتابه "شج رأس التاريخ (تجليات التواصل الفعال)"، مركزًا على الجمع بين التوثيق العلمي الدقيق والتشويق السردي الجاذب.

أولاً: الإطار المنهجي للكاتب

1. توثيق المصادر

يتميز الدكتور محمد فتحي عبد العال باعتماده على منهجية توثيقية رصينة، حيث يعتمد في مقالاته على:

الأرشيف الصحفي المصري القديم: مثل مجلات "المصور"، "آخر ساعة"، "اللطائف المصورة"، "روز اليوسف"، "الأهرام"

الوثائق التاريخية: كالأورنيكات الشرعية، وحجج الوقف، ومحاضر الضبطية

المصادر التراثية: كتب الجبرتي، ابن كثير، صحيح البخاري

المراجع الأجنبية: مثل تقارير "آرثر سيسيل ألبورت"

2. صياغات التوثيق

يستخدم الكاتب صياغات دالة على الدقة العلمية مثل:

"على سبيل الاستئناس" – للتعبير عن الاحتياط في نقل الوثائق

"لو صحت" – للإشارة إلى عدم الجزم بصحة بعض الروايات

"بحسب ما جاء في" – للإحالة إلى المصادر بدقة

"نورده على سبيل الاستئناس" – للتنبيه إلى أن المعلومة للاستئناس لا للقطع بها

ثانيًا: آليات التشويق السردي

1. تقنية الحكاية المؤطرة

يمتلك الكاتب قدرة فائقة على تأطير المادة التاريخية الجافة ضمن قوالب قصصية مشوقة. يتجلى ذلك في:

قصة الطبيب المزيف: حيث يروي تفاصيل احتيال "علي حلمي شاكر" على أسر القاهرة

حكاية "أم محمد" وسرقة مستلزمات وزارة الصحة: بأسلوب بوليسي مشوق

حادثة دفن الأحياء بالخطأ: بسرد درامي مؤثر

2. المفارقات التاريخية

يوظف الكاتب المفارقات الزمنية والمقارنات بين الماضي والحاضر لإثارة دهشة القارئ، مثل:

المقارنة بين أزمة مستشفى قصر العيني عام ١٩٤٩ والوضع الحالي

المفارقة بين تسامح الملك فاروق في قضية "جان أصفر" وردود الأفعال المتوقعة

.3السخرية والتهكم
يستخدم الكاتب السخرية كأداة بلاغية مؤثرة، كما في:

وصفه لأمير المماليك "يوسف بيك الكبير" وموقفه من المشايخ

تعليقه على تخصيص الأوقاف للديكة في جامع ابن طولون

وصفه لـ "الفرسان الثلاثة" من الجنود الذين اعتدوا على سيدة

ثالثًا: تقنيات الحوار في المقال
.1بناء السؤال والجواب
اعتمد الكاتب هيكلًا قائمًا على أسئلة القراء وإجاباته عليها، وهذا يمثل:

تقنية سردية مبتكرة تكسر رتابة المقال التقليدي

وسيلة لضمان تفاعل القارئ مع المادة المطروحة

إضفاء طابع ديمقراطي على العمل الثقافي

.2التضمين الاقتباسي
يلجأ الكاتب إلى تضمين نصوص شعرية ونثرية متنوعة:

شعر أبي العلاء المعري، وأبي فراس الحمداني

أقوال مأثورة عن الإمام علي بن أبي طالب

حكم وأمثال شعبية مثل "بعد العيد ما يفتقلش كحك"

.3الحوار الداخلي
يظهر الكاتب حواره الداخلي مع المادة التاريخية، كما في تعليقه على قصة "المازني وفاخرة"، مما يضفي بعدًا نفسيًا وإنسانيًا على السرد.

رابعًا: اللغة والأسلوب
.1المستوى اللغوي
يميل إلى الفصحى المتوسطة المفهومة

يوظف التراكيب التراثية دون تكلف

يدخل بعض العاميات المصرية للتعبير عن الطرافة (مثل "عصفورة"، "الفرسان الثلاثة")

.2الصور البيانية
الاستعارات: "الضمير الغائب"، "عقدة الخواجة"

التشبيهات: "كالنار بالهشيم"، "مثل العجل العظيم ذي الخوار"

الطباق والمقابلة: بين الماضي والحاضر، والشرقي والغربي، والغني والفقير

.3التنغيم الإيقاعي
استخدام التكرار لأغراض بلاغية وتأكيدية

تنويع طول الجمل بين القصير والطويل

توظيف الأسئلة البلاغية لاستفزاز تفكير القارئ

خامسًا: التنوع الموضوعي
.1القضايا الصحية
ناقش الكاتب في مقالاته قضايا صحية شائكة مثل:

أزمة مستشفى قصر العيني تاريخيًا

ظاهرة "الشكك" أو الدفع بالآجل في الصيدليات

قضية الموت الرحيم في ضوء الشريعة والقانون

.2القضايا الاجتماعية
قضايا الخلع وتعدد الزوجات وتعدد الأزواج

التحرش والعنف المجتمعي

عادات الكعك في العيد وأبعادها الصحية والاجتماعية

.3القضايا السياسية
الفساد المالي لرجال الدولة في العهد الملكي

علاقة الحكام بالدين والدعاية السياسية

موقف الجيش والصحافة قبل ثورة ١٩٥٢

سادسًا: الخصائص التفاعلية
.1مخاطبة القارئ مباشرة
يستخدم الكاتب ضمير المخاطب بكثرة:

"يا عزيزي القارئ"

"صاحبتي العزيزة"

"تأمل معي"

.2الإفصاح عن الذات
لا يتردد الكاتب في الإفصاح عن تجاربه الشخصية:

تجربته مع المعهد الإسلامي ونظام الحضور علىZoom

عمله في الصيدلية ومعاناة "الشيخ الطيب"

مناسبة عيد العمال ومولد ابنته "نور"

3.التواضع العلمي
يقر الكاتب بحدود معرفته:

"أنا لست موسوعيًا"

"بعض الأسئلة تضعني في حيرة"

"لا أعلم" – في قضية حقيقة محاولة اغتيال فاروق

سابعًا: نقد الذات والمجتمع
1.نقد الظواهر المجتمعية
نقد عقدة الخواجة وتقديس الأجنبي

ن Critique ثقافة التشاؤم والتطير

نقد الفجوة الطبقية بين الأغنياء والفقراء

2.النقد الذاتي
الاعتراف بالأخطاء المطبعية (تصحيح "حسام الدين بن الجين")

المراجعة المستمرة للمعلومات ("بهلول ليس شقيق الرشيد")

التواضع في تقييم تجاربه الكتابية

ثامنًا: تقنيات الإثارة والتشويق
1.البدء بالقصة
يبدأ معظم مقالاته بحكاية أو قصة قبل التعمق في التحليل التاريخي، مثل:

بداية المقال بقصة "أم محمد" قبل مناقشة سرقات المستشفيات

بداية مقال الخلع بقصة الشيخ "عبد الباقي"

2.العناوين المثيرة
"الفرسان الثلاثة"

"الرجل الذي تزوج بأربعين امرأة"

"حامد بيك... الرجل الخارق"

3.المفاجآت السردية
يكشف الكاتب عن مفاجآت غير متوقعة في نهايات القصص، كما في:

حقيقة أن "فاخرة" كانت شابًا يخدع المازني

أن الطبيب المزيف كان يقبض عليه وقد انكشف أمره

تاسعًا: الأبعاد الدعوية والأخلاقية
1.التوجيه الأخلاقي

يراعي الكاتب البعد الأخلاقي والدعوي في مقالاته دون إخلال بالجانب الأدبي، كما في:

مناقشة حرمة الخمر والتدخين

بيان أحكام الخلع والطلاق في الشريعة

التذكير بحسن الخاتمة وضرورة الاستعداد للآخرة

.2الوسطية والاعتدال
يتميز خطابه بالوسطية والاعتدال:

مناقشة آراء المخالفين بموضوعية

عدم التعصب لرأي على حساب آخر

التأكيد على أن "في الاعتدال حياة"

عاشرًا: التحديات المنهجية
.1إشكالية توثيق بعض المواد
يواجه الكاتب تحديًا في توثيق بعض المواد التي يعتمد عليها، خاصة:

المواد من صفحات الفيسبوك المكررة بدون توثيق

الأوراق التاريخية المتداولة بين باعة الورق القديم

الروايات الشفاهية

.2التعامل مع المصادر الاستشراقية
يوظف الكاتب المصادر الاستشراقية بحذر، مع الوعي بتحيزاتها، كما في:

نقده لرسالة منصور فهمي المتأثرة بالمفاهيم الاستشراقية

تنبيهه على مغالطات بعض المستشرقين تجاه الإسلام

خاتمة
يمثل الدكتور محمد فتحي عبد العال نموذجًا متميزًا للكاتب الموسوعي الذي يجمع بين التوثيق العلمي الرصين والتشويق السردي الجاذب. يتميز أسلوبه المقالي بالتنوع الموضوعي، والغنى اللغوي، والتفاعل المستمر مع القارئ، مع الالتزام بالأمانة العلمية والتوجيه الأخلاقي. نجح الكاتب في بناء جسر بين الماضي والحاضر، وبين التوثيق الأكاديمي والكتابة الأدبية، مما يجعل أعماله نموذجًا يحتذى في أدب المقالة العربية المعاصرة.

تتجلى أهمية هذه الدراسة في أنها تسلط الضوء على تجربة كتابية متميزة تستحق المزيد من البحث والتحليل، وتقدم نموذجًا للكاتب العربي الذي يسعى للنهوض بالوعي المجتمعي من خلال كتابة تجمع بين المتعة والفائدة، وبين التشويق والإفادة.

كلمات مفتاحية: أدب المقالة، التوثيق العلمي، التشويق السردي، محمد فتحي عبد العال، الصحافة المصرية، الكتابة التاريخية.

البحث الثالث

جدلية العقل والوجدان: تجليات الفكر الصيدلاني في التشكيل الإبداعي عند محمد فتحي عبد العال (المجموعة القصصية "استروبيا" نموذجًا)

Dialectic of Reason and Emotion: Manifestations of Pharmacological Thought in the Creative Formation of Mohamed Fathi Abdel Alal ("Astropia" Short Story Collection as a Model)

الملخص

تتناول هذه الدراسة ظاهرة فريدة في الأدب العربي المعاصر، تتمثل في توظيف الخلفية العلمية (الصيدلة) في التشكيل الإبداعي، وذلك من خلال تحليل المجموعة القصصية "استروبيا" للدكتور محمد فتحي عبد العال. تسعى الدراسة إلى الكشف عن جدلية العقل (الفكر الصيدلاني المنهجي) والوجدان (الصراعات الإنسانية والعاطفية)، وكيف يتفاعلان لإنتاج نصوص أدبية تحمل بصمة تخصصية متميزة. تعتمد الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، مستعينة بآليات النقد الثقافي والتحليل السردي. توصلت الدراسة إلى أن الكاتب يوظف المصطلحات والمفاهيم الصيدلانية (جودة الرعاية الصحية، تحليل السبب الجذري، البروتوكولات الدوائية) كأدوات سردية ناقدة للمجتمع، وأن جدلية العقل والوجدان تتجسد في شخصيات المجموعة: فالعقل وحده دون وجدان يُنتج شخصيات ناجحة مهنيًا لكنها فاشلة إنسانيًا (وديع، مغري)، والوجدان وحده دون عقل منهجي يُنتج شخصيات هشة (إحسان)، بينما يمثل التوازن في شخصية "وافي" الباحث الذي يجمع بين الدقة العلمية والتعاطف الإنساني. تخلص الدراسة إلى أن "استروبيا" تؤسس لنموذج جديد في الأدب يمكن تسميته بـ"الأدب الصيدلاني" الذي ينتمي إلى تيار أوسع هو "أدب أصحاب التخصصات."

الكلمات المفتاحية: جدلية العقل والوجدان، الفكر الصيدلاني، التشكيل الإبداعي، محمد فتحي عبد العال، استروبيا، الأدب التخصصي.

Abstract

This study examines a unique phenomenon in contemporary Arabic literature: the utilization of scientific background (pharmacy) in creative formation, through the analysis of the short story collection "Astropia" by Dr. Mohamed Fathi Abdel Alal. The study aims to reveal the dialectic between reason (methodological pharmacological thought) and emotion (human and emotional conflicts), and how they interact to produce literary texts bearing distinctive professional imprints. The study adopts a descriptive-analytical approach, employing mechanisms of cultural criticism and narrative analysis. The study concludes that the author employs pharmaceutical terms and concepts (healthcare quality, Root Cause Analysis, drug protocols) as narrative tools for social critique. The reason-emotion dialectic manifests in the collection's characters: reason without emotion produces professionally successful yet humanly failed characters (Wadie', Magri), emotion without methodological reason produces fragile characters (Ihsan), while balance is represented in the character of "Wafi" the researcher who combines scientific precision with human empathy. The study concludes that "Astropia" establishes a new model in literature that can be termed "pharmaceutical literature," belonging to a broader current of "professional literature."

Keywords: Reason-Emotion Dialectic, Pharmaceutical Thought, Creative Formation, Mohamed Fathi Abdel Alal, Astropia, Professional Literature.

أولاً: الإطار المنهجي

1.1مقدمة: ظاهرة "أدب أصحاب التخصصات"

يشهد المشهد الأدبي العربي المعاصر ظاهرة لافتة: تزايد أعداد الأطباء والصيادلة والمهندسين الذين يمارسون الكتابة الإبداعية، ولا يقتصر حضور تخصصاتهم على هوامش السير الذاتية، بل يتسرب إلى صميم النصوص نفسها، ليشكل رؤية خاصة ومفردات مميزة. وهذه الظاهرة ليست وليدة اليوم، بل تمتد جذورها في تراثنا الأدبي والحضاري. ففي التراث الإسلامي، نجد نماذج رائدة لدمج المعرفة الطبية/الصيدلانية بالإبداع، من أبرزها:

أولاً: العطارون كعقد حضارية - تشير الدراسات إلى أن دكاكين "العطّارين" (صيادلة الماضي) كانت تمثل "عُقدًا كونية (nodes of cosmopolitanism) "في المجتمعات الإسلامية، حيث كانت منتجاتهم تُجلب من بقاع متفرقة من العالم، وتستخدم لصناعة الأدوية والعطور والأطعمة على السواء. وهذا يجعل من صورة "العطّار" - كما سنرى في شخصيات "استروبيا" - إرثًا حضاريًا ممتدًا.

ثانيًا: العطار الشاعر (فريد الدين العطار) - في القرن الثاني عشر الميلادي، برز الشاعر الصوفي الفارسي فريد الدين العطار الذي جعل من تخصصه (العطارة/الصيدلة) جزءًا من هويته الشعرية، بل إن اسمه "العطار" يعني "الصيدلاني" أو "العطار". كان العطار يصف شعره بـ"الترياق (taryak) "أي الدواء المضاد للسموم، وكان يرى أن الشعر الجيد يشبه الدواء في قدرته على تحويل المستمعين وعلاج أمراضهم الروحية. هذا المفهوم العميق للكتابة كـ"طب روحي" يجد امتدادًا له في تجربة محمد فتحي عبد العال، حيث يتحول الفكر الصيدلاني من مجرد لغة تقنية إلى أداة للتشخيص الاجتماعي والنفسي.

ثالثًا: التراث الصيدلاني العربي بين التقليد والابتكار - تطورت الصيدلة العربية على أساس التراث اليوناني (ديسقوريدس وجالينوس)، لكن العلماء العرب أضافوا إليها إضافات جوهرية: ابتكر الكندي نظرية لحساب درجات الأدوية المركبة، ونقد الرازي الأسس المعرفية لنظريات جالينوس، وأضاف ابن سينا درجات جديدة في وصف الأدوية البسيطة، وأدخل ابن سرابيون والكسكري أدوية جديدة من الهند والشرق الأقصى. هذه "الجدلية الإبداعية بين التقليد والابتكار (creative tension of tradition and innovation) "التي طبعت الصيدلة العربية، هي نفسها الجدلية التي تطبع تجربة محمد فتحي عبد العال: كتابة تتأسس على تراث أدبي عريق، لكنها تبتكر فيه بإضافة منظور تخصصي جديد.

1.2إشكالية الدراسة

انطلاقًا مما سبق، تتشكل الإشكالية المركزية للدراسة في السؤالين التاليين:

كيف يتجلى الفكر الصيدلاني (كعقل منهجي تحليلي) في التشكيل الإبداعي لمحمد فتحي عبد العال في مجموعته "استروبيا"؟

ما طبيعة العلاقة الجدلية بين هذا الفكر العقلاني (العلمي) والوجدان (الهم الإنساني العاطفي) في بناء الشخصيات والسرد؟

1.3منهجية الدراسة

تعتمد الدراسة على:

المنهج الوصفي التحليلي: لرصد وتحليل مظاهر الفكر الصيدلاني في النصوص.

آليات النقد الثقافي: لتفكيك الخطاب المهني ودلالاته الاجتماعية.

التحليل السردي: لدراسة بناء الشخصية وعلاقتها بالثنائية الجدلية موضوع البحث.

ثانيًا: الإطار النظري: جذور العلاقة بين الطب/الصيدلة والأدب

2.1في التراث العربي الإسلامي

يُعد التراث العربي الإسلامي نموذجًا رائدًا في تكامل المعرفة العلمية والأدبية. فقد ظهرت "القصص الطبية" كجنس أدبي مستقل، تعكس الخبرات الواقعية للأطباء والمرضى في العالم الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي. هذه القصص "تقدم منظورًا خاصًا في تمثيل العالم الفيزيائي وعالم الأفكار"، ولم تكن مجرد سرد لحالات مرضية، بل حملت أبعادًا فلسفية وفكرية، تعكس انفتاح المجتمعات الإسلامية على الفكر غير التقليدي.

الأسلوب العلمي في الكتابة الصيدلانية تميز بخصائص محددة: "طريقة التصنيف والتقسيم، وذكر طبيعة الأدوية وتأثيراتها في الأعضاء". هذه السمات - كما سنرى - تجد صداها في الأسلوب السردي لمحمد فتحي عبد العال.

2.2في السياق العالمي: نموذج العطار الشاعر
يمثل فريد الدين العطار (ت ١٢٢١م) النموذج الأكثر وضوحًا لدمج التخصص الصيدلاني بالإبداع الأدبي. تشير الدراسات الحديثة إلى أن "العطار" لم يكن مجرد تسمية عابرة، بل "توجز فكرة أساسية عن تشابك الجميل والنافع والمفيد في الفكر الإسلامي". كان العطار ينظر إلى الشعر على أنه شكل من "الطب الروحي"، قادر على التأثير في المتلقين على المستوى الجسدي والعاطفي، وتحويلهم "إلى حالة من الصحة الروحية."

هذا المفهوم العميق للكتابة كدواء - أو كـ"ترياق" - يجد امتدادًا له في تجربة محمد فتحي عبد العال، حيث يتحول الفكر الصيدلاني من مجرد لغة تقنية إلى أداة للتشخيص الاجتماعي والنفسي، وهنا سنحاول تحليلها.

ثالثًا: تحليل تجليات الفكر الصيدلاني في "استروبيا"
تتكون المجموعة القصصية "استروبيا" من عدة قصص تتبدى عبرها مظاهر الفكر الصيدلاني بطرائق مختلفة. يمكن رصد هذه التجليات على المستويات التالية:

3.1المستوى اللغوي والمصطلحي (توظيف لغة الجودة والاعتماد)
يفاجئ الكاتب القارئ بتسريب مصطلحات من عالم الجودة الصحية وإدارة المستشفيات والبروتوكولات الدوائية داخل نسيج سردي أدبي، من أبرزها:

مصطلح : (Benchmarking) عملية مقارنة أداء المستشفى بمستشفيات أخرى.

مصطلح : (Independent Double Check) الفحص المزدوج من صيدلانيين قبل صرف الدواء.

مصطلح : Root Cause Analysis (RCA) تحليل السبب الجذري للأخطاء الطبية.

مصطلح : (Swiss Cheese Model) نموذج الجبن السويسري للتنبؤ بمواضع الخلل.

مصطلح : Patient Safety Leadership WalkRounds (PSLWs) جولات قيادة سلامة المرضى.

هذه المصطلحات لا تظهر عبثًا، بل تحمل وظائف سردية متعددة:

وظيفة نقدية: تكشف التناقض بين النظريات الجودة والممارسة الفاسدة.

وظيفة تهكمية: يستخدم الكاتب المصطلحات الإنجليزية في سياقات عربية هجينة (على لسان شخصية الشيخ عاصم) ليؤكد حالة الاغتراب الثقافي والمهني.

وظيفة توثيقية: تمنح السرد مصداقية الواقعي، إذ لا تبدو الحكايات من نسج الخيال الجامح، بل مستلهمة من خبرة مهنية فعلية.

3.2المستوى المعرفي والمنهجي (نسق التفكير الإكلينيكي في السرد)
يتعدى تأثير الفكر الصيدلاني المفردات إلى تشكيل "طريقة الرؤية" و"نسق التفكير" ذاته، ويتجسد ذلك في:

أسلوب التشخيص التفريقي (Differential Diagnosis) في التعامل مع الظواهر، كما تفعل شخصية "وافي" وهي تحقق في أوراق إحسان التاريخية، فيبحث في سجلات جامعة هارفارد وفي أرشيف الصحافة المصرية، ويحلل تناقضات القصة (لغة إنجليزية، ورق حديث، إلخ). إنه صيدلاني يحقق في التاريخ كما يحقق في خطأ دوائي.

ثقافة البروتوكول والإجراء التي تظهر في تفاصيل دقيقة مثل: تفاصيل أوراق الحج القديمة والعالمات المميزة للأشخاص، ووصف مضادات حيوية محددة وسلالاتها الجيلية.

3.3المستوى البصري والتشكيلي: الاحتراس والتفاصيل
يميل العقل الصيدلاني (المعتاد على قراءة روشتة بها أعمدة وأرقام وجرعات دقيقة) إلى تنظيم المعرفة بطريقة قوائم وتفريعات. نجد ذلك في القصة عن الأوراق التاريخية (أرقام البوليس، الأختام، التواريخ الدقيقة جدًا). فهذا الكم المفرط من التفاصيل ليس توثيقًا أكاديميًا جافًا، بل "تشكيل إبداعي" للواقع الفوضوي في قوالب دقيقة، كأن الكاتب (صيدلاني الممارسة) يعيد تركيب العالم عبر "عدسة المجهر."

3.4الشخصيات: بين العقل البارد والوجدان المحترق
ترتكز فكرة الجدلية بين القطبين أساسًا في بناء الشخصيات، إذ يمكن تصنيف شخصيات المجموعة عبر طيف يمتد من العقل الصرف إلى الوجدان الصرف:

مغري (قصة "حد السيف"): القطب الأقرب للعقل

"عقل" مغري عقل بروتوكولي صارم، خبير جودة، يحكم قبضته على الصيادلة، يمنع الإجازات حتى لمن يريد رؤية أمه المريضة. لكنه ينهار تمامًا أمام زوجته "سهام"، التي تلاعبت به عاطفيًا وجنسيًا، واستنزفته ماديًا.

الجدلية: العقل المنهجي الشديد الذي يدير المستشفى يختفي تمامًا في البيت، ليحل محله كائن وجداني ضعيف، خائف من الفضيحة، قابع تحت رحمة امرأة تمثّل غرائزه المكبوتة.

وديع (قصة "الغاية والوسيلة"): القطب الوجداني المنحرف

عقل "وديع" عقل صيدلاني شاطر، يعرف كيف يستغل ثغرات النظام. لكنه يُستخدم في خدمة أهواء الشيخ "عاصم" الجنسية والمالية. وجدانه ليس حبًا، بل طموح مادي وجنسي. يستغل فساد الشيخ ليمتص أمواله ثم يهرب إلى كندا.

الجدلية: انهيار الأخلاق (الوجدان العالي) بفعل فساد العقل المهني. هنا امتزج العقل والهوى المدمر ليسقطا معًا.

إحسان (قصة "بنت ابن بارم ديله"): القطب الوجداني المتطرف

تمثل نموذج "العقل الهش"، حيث يستبدل العقل بالهيستيريا والادعاء. تختلق تاريخًا عائليًا مزيفًا، وتهاجم التاريخ الحقيقي حين لا ينفعها. إنها وجدانية بلا عقل، وفشلها المهني يؤكد أن الوجدان دون علم يظل "ثرثرة" بلا إنتاج.

وافي (القصة الأولى): موقع التوازن (المثالي الأنموذجي)

يمثل الباحث الذي يجمع بين دقة العقل (التحقيق العلمي في الوثائق) وحرارة الوجدان (تأثره بقصص الحج والأميرات والأشعار). الصداقة التي تجمعه بإحسان (على اختلاف طبعهما) تؤكد أطروحة البحث: لا يمكن الفصل الكامل بين العقل والوجدان، فهما متجاوران في ذات إنسانية واحدة.

رابعًا: "استروبيا" في سياق الأدب التخصصي المعاصر
" 4.1الأدب الصيدلاني": نحو تصنيف جديد
يمكن القول إن "استروبيا" تؤسس لنموذج يمكن تسميته بـ"الأدب الصيدلاني Pharmaceutical " (Literature، بوصفه فرعًا من "أدب أصحاب التخصصات .(Professional Literature) "يتميز هذا النموذج بما يلي:

اللغة التخصصية: كلغة للتحليل النقدي لا للتفاخر.

النظرة الإكلينيكية: للواقع كمجال للتشخيص.

الصراع المهني: كاستعارة مركزية للصراع الإنساني بين الخير والشر، الربح والعلاج.

وهذا يمثل عودة إلى جذور متجددة، فإذا كان الكندي والرازي قد أضافا "طبقات المعرفة" إلى المادة العلمية، فإن محمد فتحي عبد العال يضيف هذه الطبقات إلى المادة الأدبية.

4.2النقد الاجتماعي من خلال العين الصيدلانية
تمنح النظرة الصيدلانية الكاتب أدوات حادة لنقد المجتمع، نلحظها في:

نقد الفساد الإداري: ثنائية "الشيخ عاصم" صاحب المستشفى الذي يديرها وفق أهوائه لا وفق معايير الجودة.

نقد تسليع الرعاية الصحية: استبدال "سيفازولين" بـ"سيفترياكسون" لأسباب ربحية بحتة.

نقد الفجوة بين النظرية والتطبيق: "دكتور مغري" خبير الجودة الذي يفشل في تطبيق مبادئ الجودة على زواجه.

خامسًا: دلالة العنوان "استروبيا" والجدلية المركزية
العنوان "استروبيا - (Astropia)" "وهو عنوان المجموعة أيضًا - هو لفظ منحوت/مُحدث، قد يكون تركيبًا من -Astro (النجوم/الفضاء) و topia-(المكان)، أي "مكان فلكي" أو "فضاء مثالي". لكن يمكن قراءته في سياق جدلية العقل والوجدان على النحو التالي:

استروبيا = المكان الذي يسوده العقل المنهجي (علم الصيدلة/الفضاءات المنظمة) لكنه يظل حالمًا وأسطوريًا -Astro)كرمز للخيال والوجدان المتأمل (لا يمكن الوصول إليه في الواقع الفاسد.

إنها "اليوتوبيا المستحيلة" التي يحلم بها كل من "وافي" (الباحث الدقيق) و"إحسان" (الهائمة العاطفية)، لكن الواقع يعيد إنتاج الفشل والفجوة، تاركًا القارئ أمام سؤال مفتوح: هل يمكن تحقيق التوازن فعلًا؟

خاتمة: نتائج الدراسة وتوصياتها
النتائج
يتجلى الفكر الصيدلاني في "استروبيا" على ثلاثة مستويات: لغوي/مصطلحي، معرفي/منهجي، وشخصي/وجودي.

تقوم المجموعة على جدلية مركزية بين العقل (المنهج التحليلي الدقيق) والوجدان (العاطفة والصراعات الإنسانية)، تتجسد في شخصياتها المتقابلة.

يُوظف الكاتب أدوات مهنته للقيام بنقد اجتماعي حاد للفساد الإداري ولتسليع الرعاية الصحية وللممارسات غير الأخلاقية تحت غطاء الأرباح.

تؤسس "استروبيا" لنموذج جديد في الكتابة الأدبية العربية هو "الأدب الصيدلاني"، الذي يمثل امتدادًا معاصرًا لتقليد عريق في التراث العربي يمزج بين المعرفة الطبية والتعبير الإبداعي.

التوصيات
في ضوء نتائج الدراسة، يُوصى بما يلي:

إجراء دراسات مقارنة بين تجربة محمد فتحي عبد العال وتجارب كتاب آخرين من خلفيات طبية (أطباء، صيادلة، أسنان) في الوطن العربي.

الاهتمام بدراسة "أدب أصحاب التخصصات" كحقل نقدي مستقل، يدرس كيفية تأثير التكوين المهني على الرؤية الإبداعية.

تشجيع النقد الأدبي على تجاوز قراءة النصوص من منظور التخصصات الإنسانية فقط، والانفتاح على قراءات تأخذ في الاعتبار الخلفيات العلمية للكتّاب.

البحث الرابع

Sociology of Science and Literature in COVID-19 Stories

سوسيولوجيا العلم والأدب: انعكاس الأزمات الصحية (الجائحة نموذجاً) في السرد القصصي لمحمد فتحي عبد العال

مقدمة: الأزمة الصحية بوصفها مادةً خصبةً للسرد الاجتماعي
لا تقتصر الأزمات الصحية الكبرى، كجائحة كوفيد-١٩، على كونها حدثاً بيولوجياً أو طبيًا عابرًا، بل تمثل ظاهرة اجتماعية شاملة تعيد تشكيل نسيج العلاقات الإنسانية، وتكشف عن الهشاشة البنيوية للمجتمعات، وتختبر الأخلاقيات الفردية والعامة. في مجموعته القصصية "حتى يحبك الله"، التي كُتبت "في زمن الجائحة"، يقدم الدكتور محمد فتحي عبد العال، الباحث في الكيمياء الحيوية والصيدلي، نموذجًا فريدًا لتداخل التخصصات. فهو لا يكتب الأدب كمنظر خارجي، بل كـ "عالم داخل المختبر" يرصد انعكاسات الأزمة على الإنسان العادي، مستخدمًا الجائحة كخلفية درامية وكمحفّز أخلاقي.

هذا البحث يسعى إلى تفكيك هذه المجموعة القصصية من منظور سوسيولوجيا العلم والأدب، مبرزًا كيف يستخدم الكاتب الأزمة الصحية ليس فقط كموضوع، بل كأداة للكشف عن أمراض اجتماعية مزمنة: الفساد الأكاديمي، النفاق الاجتماعي، الاستغلال الاقتصادي، التفكك الأسري، وتأثير السلطة الأبوية، وصولاً إلى التحولات الأيديولوجية الكبرى كالإلحاد. سنرى كيف تتحول الجائحة في قصصه من مجرد فيروس إلى "مرآة" تعكس جوهر الإنسان والمجتمع.

أولاً: الجائحة كـ "دافع روائي" و "كاشف أخلاقي"
لا تظهر الجائحة في قصص عبد العال كعنصر زخرفي، بل كـ حافز درامي يدفع الشخصيات لاتخاذ قرارات مصيرية، وكـ أداة كشف تنزع الأقنعة الاجتماعية.

كحافز للتغيير (الإيجابي والسلبي):

في "المخالب الناعمة": تمنح الجائحة مروان "عذرًا قويًا" للهروب من فخ الدكتور حاييم، وتدفعه لاستغلال مهاراته الحقيقية (الترجمة والكتابة) لمساعدة أجداده، فتصير الأزمة طريق خلاص.

في "النفس الأمارة": تؤدي إصابة الأب (الحاج بركات) بكوفيد إلى اعترافه بظلمه لابنيه قبل الموت، مما يُحدث تحولًا جذريًا في حياة هادي (التبرع بالصيدلية والتوجه للعبادة).

في "للعدالة درع وسيف": مرض الصحفية تحية وأمها بالجائحة يمنحهما وقتًا للتأمل، مما يؤدي لاكتشاف الحقيقة حول قضية عم وهبة المظلوم ويساعدهما على السعي للعدالة.

في "لماذا يلحدون؟": تصبح الجائحة والموت المحقق اختبارًا وجوديًا لزينب (صافي) التي كانت قد أعلنت إلحادها، فتُعيد اكتشاف إيمانها من خلال الكوابيس والأحلام بوالدها، لتصل إلى قناعة بأن "فقر الحياة وجدبها حينما تخلو من حلاوة الإيمان."

كأداة لكشف الوجه الآخر للشخصيات:

كشف الاستغلال (في "المخالب الناعمة"): تحاصر الجائحة المستشفيات، ويكشف الكاتب عن "السوق السوداء" لأدوية البروتوكولات، كاشفًا عن الجشع الذي يعيش في ظل الأزمات.

كشف الفساد الوظيفي (في "مآرب وقحة"): تفاقم الجائحة من سياسة "تقليص العمالة" في المستشفى الخليجي، فتُستخدم كذريعة لفصل الصيدلي المخلص (مخلص) وإقصائه من قبل رفاعي المريض نفسيًا.

ثانيًا: أزمة العلم المؤسسي والبحث العلمي (نقد ذاتي من الداخل)

يقدم الدكتور محمد فتحي عبد العال، بصفته عالمًا، نقدًا لاذعًا للواقع الأكاديمي والعلمي في العالم العربي من خلال عدة قصص، خاصة "المخالب الناعمة" و"تراتيل القدر."

الفساد الأكاديمي والإقطاع المعرفي:

الدكتور حاييم (في "المخالب الناعمة") هو نموذج للعالم الذي تحول إلى "تاجر علم". فهو يستغل طلابه في مشاريعه التجارية (تربية السبيرولينا)، ويحول علاقتهم إلى علاقة "سُخرة"، ويبتزهم بالتهديد ("معي الطريق ممهد وسهل... وخارجي المطبات الصناعية جاهزة"). إنه يجسد أزمة العلم حين يصبح وسيلة للسلطة والمال وليس للاستكشاف. عبارته الشهيرة "العلم يا مروان ثم العلم" تصبح نقيضًا ساخرًا لواقعها.

الدكتور قنديل نموذج للاستاذ المتسلط الذي يبيع الامتحانات. الصراع بين حاييم وقنديل ليس علميًا، بل صراع على النفوذ والريع.

العلم كفضيلة أخلاقية مقابل العلم كاستغلال:

في "تراتيل القدر"، يقدم الكاتب النقيض للدكتور حاييم، وهو الدكتور مروان (الذي يحمل الاسم نفسه لبطل القصة الأولى!). هذا العالم يعزل نفسه ويكرس حياته لبحث نابع من ألم شخصي (موت والديه بالسرطان). هنا، العلم "أخلاقي" و"علاجي" و"إنساني". لكنه يتحول أيضًا إلى مأساة عندما تقود أخلاقياته المفرطة إلى وفاة مساعدته صباح، التي تطوعت للتجربة السريرية. القصة تطرح سؤالًا أخلاقيًا معقدًا: متى يتحول التضحية في سبيل العلم إلى "جنون"؟

صراع الضمير العلمي: مشهد محاولة مروان إيقاف العلاج وتزويد صباح بالفيتامينات يعكس الصراع الداخلي بين العالم كـ "باحث محايد" والعالم كـ "إنسان عاشق."

ثالثًا: السوسيولوجيا الأسرية والسلطة الأبوية
تمثل الأزمة الصحية أرضًا خصبة لتجليات السلطة داخل الأسرة، والكشف عن أنماط التربية الخاطئة.

السلطة الأبوية القاتلة (في "المخالب الناعمة" و"النفس الأمارة"):

والد مروان (قصة المخالب) يجسد القسوة تحت مسمى "الخوف". منعه للبخاخات الطبية بحجة "عدم التعود" وانتقاؤه ملابس مضاعفة الحجم يكشفان عن أسلوب قمعي يطمس هوية الطفل وينتج شخصية "بلا مخالب"، كما وصفه الدكتور المنجم.

الحاج بركات (في "النفس الأمارة") نموذج للسلطة الأبوية التي تحطم أحلام أبنائها (إجبارهم على دراسة الصيدلة رغم ميولهم) وتقمع مشاعرهم العاطفية (منعه لزواج هادي من زينب). النتيجة: ابن مدمن وعلاقات أسرية مفككة. اعتراف الأب قبل موته ("ربما أكون مخطئًا الآن") هو اعتراف متأخر بأضرار هذه السلطة.

التبعية وغياب القدوة (في "قصاصات العمر"):

قصة تحية ومنار تكشف عن نمط آخر من السلطة، وهو التأثير السلبي للصديقات في غياب التوجيه الأسري. تحية التي نشأت في أسرة مفككة (أب ميت وزوج أم منعزل) تصبح فريسة لصديقتها النرجسية منار التي تقنعها بالعزوف عن الزواج، لتتخلى عنها لاحقًا من أجل زواج مصلحة. الجائحة هنا كانت قاسية (موت الأم وزوج أمها) لكنها حررتها أخيرًا من الوهم.

رابعًا: الجائحة والتحولات الأيديولوجية (الإلحاد والتدين)
يقتحم عبد العال منطقة حساسة وشائكة في قصص مثل "لماذا يلحدون؟" و"أنا أصدق العلم."

جذور الإلحاد الاجتماعية والنفسية:

في "لماذا يلحدون؟" ، لا يقدم الكاتب زينب (صافي) كملحدة "عقلاً فاسدًا" أو متأثرة بالغرب فقط. بل يرسم جذور إلحادها في تربية دينية قاسية ومتناقضة: أب يستخدم "الترغيب والترهيب" والضرب لتعليم الصلاة، وأخ يستولي على ميراثها ويعنفها. إلحادها هو "ثورة" على هذا الشكل القبيط من الدين، وليس على الذات الإلهية بالضرورة. حوارها مع العالمة الروسية غالينا يطرح حججًا إلحادية كلاسيكية (عجز الإنسان البدائي، مشكلة الشر، الصدفة الكونية) بطريقة جادة، مما يمنح القصة عمقًا فكريًا.

صورة والدها في المنام هي آلية سردية بارعة: الجائحة تضع زينب في حالة ضعف ومرض، مما يعيد فتح بوابات اللاوعي والذاكرة العاطفية، وتعودها إلى الدين كحضن دفء لا كمنظومة عقاب. عودتها للإيمان تتم بالقلب قبل العقل.

استغلال الدين والتدين الزائف (في "مآرب وقحة"):

شخصية رفاعي الصيدلي (في "مآرب وقحة") هي نموذج للنفاق السلفي. مظهره المتدين (الذقن، البنطلون القصير، حضور الدروس) يخفي شهوات جنسية مكبوتة واستغلالًا لنساء ضعيفات (الممرضة إلهام، آتيا الهندية، رفيف الأثيوبية). يقدم الكاتب هنا نقدًا اجتماعيًا لظاهرة "تجارة الدين" وربطه بالسلطة والمال، حيث يستخدم رفاعي الدين كورقة ضغط أولاً، ثم كستار للانحلال ثانيًا.

خامسًا: العبقرية المكانية والهوية: حوار الحضارات
على النقيض من قصص الفساد والانهيار، يقدم الكاتب لوحة نابضة بالحياة والأمل في "الأجفان الساهرة" و"الخواجة والجارية"، باستخدام الجائحة كخلفية فقط، بينما يتمحور السرد حول التقاء الثقافات.

حي المغربلين كفضاء للتعايش (في "الأجفان الساهرة"):

القصة هي رحلة سياحية-فكرية لأسامة (المغربي الفرنسي) في قلب القاهرة التاريخية بصحبة سيف. الجائحة لا توقف الحياة هنا، بل تظهر "الأجفان الساهرة" للمصريين الذين لا ينامون عن مساعدة بعضهم.

الست ملك المسيحية التي تصنع زينة رمضان للأطفال، والمقاهي التي تمنع التدخين وتشجع القراءة، والمساجد ذات الزخارف العثمانية، والطعام المشترك (القطايف مقابل الشباكية)، كلها عناصر تبني فضاءً سرديًا للمحبة والتعايش. الجائحة هي مجرد عارض، أما الجوهر فهو "عبقرية المكان" كما يصفها سيف.

الشرق بعيون غربية: رحلة جيرار دي نرفال (في "الخواجة والجارية"):

هذه القصة الأطول والأكثر تعقيدًا تاريخيًا، تنتقل بالجائحة إلى الخلفية، وتقدم صورة حية عن مصر في عهد محمد علي باشا. من خلال عيون الشاعر الفرنسي الرحالة، يناقش الكاتب قضايا: الاستشراق، العبودية، الدين، والجنس.

جيرار يعاني من صدمة أخلاقية حين يضطر لشراء جارية (زينب/منى) للتكيف مع عادات الشرق. الحوار بينهما (البصل والثوم كطاردة للأرواح، الزار، رائحة الطبخ) يمثل صدامًا واندماجًا بين العقلانية الأوروبية والسحرية الشرقية.

القصة ليست مناقشة للرق بقدر ما هي مناقشة لـ "الحرية الزائفة". عندما يعتري جيرار ضميره ويعتقها، تسأله زينب بسخرية: "وماذا سوف افعل بالحرية يا سيدي؟". إنها لحظة فارقة تكشف أن الحرية بدون اقتصاد وبدون كرامة اجتماعية مجرد وهم.

خاتمة: الجائحة كـ "عدسة مكبرة" وليست "محددًا وحيدًا"
يصنع محمد فتحي عبد العال في مجموعته "حتى يحبك الله" سردية متعددة الأصوات، تستخدم الجائحة (كوفيد-١٩) كعدسة مكبرة لرؤية أمراض اجتماعية ونفسية أعمق وأقدم من الفيروس نفسه. فالقصص ليست "قصص جائحة" بالمعنى الضيق، بل هي قصص إنسانية عن السلطة، المال، الجنس، العلم، الدين، والهوية، تحدث خلفيتها في زمن الوباء.

الجائحة هنا ليست هي البطل، بل هي المحرض الأكبر. هي من يكشف أن دكتور الجامعة الذي يتشدق بالعلم يمكن أن يكون مستغلاً (حاييم)، وأن المتدين بملامحه الطويلة يمكن أن يكون منافقًا (رفاعي)، وأن الإلحاد يمكن أن يكون رد فعل لصدمات دينية مبكرة لا نتيجة فكر حر. في المقابل، هي من يظهر أن التضحية من أجل العلم قد تكون جنونًا (مروان وصباح)، وأن التعايش بين الأديان في مصر ليس شعارًا بل واقعًا يوميًا (حي المغربلين)، وأن الأخلاق قد تنتصر في النهاية ولو بعد حين (قضية عم وهبة).

ما يميز هذا العمل هو تداخل تخصص الكاتب. كصيدلي وباحث في الكيمياء الحيوية، يستطيع عبد العال تفكيك الفساد في المؤسسة العلمية من الداخل، وكتابة مشاهد المختبرات بدقة، ومناقشة قضايا الفيروسات واللقاحات والبحوث السريرية بموضوعية، دون أن يفقد البعد الإنساني والأخلاقي. إنه يمثل نموذجًا واعدًا لأدب ما بعد الجائحة، أدب لا يرثي فقط، بل يحلل ويشخص وينتقد، ثم يقدم في النهاية، ولو بشكل خيالي، أملاً في مجتمع "حتى يحبك الله" ربما.

البحث الخامس

Analyzing Satirical Irony in Abdul Aal Works
بنية المفارقة الساخرة فى توظيف الحقائق العلمية: تحليل خطابى لمؤلفات د. محمد فتحى عبد العال

تمهيد
يمثل توظيف الحقائق العلمية في النص الأدبي ظاهرة جديرة بالدراسة، خاصة عندما يقترن هذا التوظيف بآليات المفارقة والسخرية. يتناول هذا البحث تحليل الخطاب في ثلاثة أعمال للدكتور محمد فتحي عبد العال: رواية "ساعة عدل" (٢٠٢١)، والمسرحية "أقدام على جسر الشوك" (٢٠٢٢)، والكتاب التاريخي "صفحات من التاريخ الإسلامي" (٢٠٢٢). يسعى البحث إلى كشف كيفية بناء المفارقة الساخرة من خلال استثمار المعرفة العلمية (الصيدلانية والطبية بشكل خاص) في سياقات تكشف التناقض بين المعرفة النظرية والممارسة الواقعية، وبين الادعاء بالعلمانية أو التدين وبين الممارسات اللاأخلاقية.

أولاً: الإطار النظري: المفارقة الساخرة كآلية نقدية
تُعرف المفارقة (Irony) بأنها تلك التقنية البلاغية التي يقوم من خلالها المتكلم بتوجيه معنى يختلف عن المعنى الظاهري للكلام، غالباً بطريقة نقدية أو ساخرة. وتكتسب المفارقة بعداً ساخراً (Satirical) عندما تهدف إلى فضح العيوب والتناقضات البشرية أو الاجتماعية بقصد الإصلاح أو النقد اللاذع.

في أعمال عبد العال، تبرز المفارقة الساخرة كأداة رئيسية لنقد:

ازدواجية المعايير لدى الشخصيات التي تمتلك المعرفة النظرية ولا تطبقها.

التباين بين القداسة الشكلية والفساد الجوهري في المؤسسات.

التناقض بين الخطاب الديني أو العلمي والممارسة اليومية.

ثانياً: المفارقة في توظيف المعرفة الصيدلانية والطبية
.1تحليل رواية "ساعة عدل(2021) "
تمثل الرواية النص الأكثر غنى بالمفارقات القائمة على توظيف الخلفية العلمية للكاتب (الصيدلي). يظهر ذلك من خلال عدة مستويات:

أ. شخصية فتحي: صيدلي الجودة في بيئة فاسدة
يحمل فتحي شهادة في إدارة الجودة الطبية الشاملة، وهو ما يجعله مؤهلاً نظرياً لقيادة عملية التطوير في المستشفى. لكن المفارقة تبرز في أن إدارة المستشفى تستخدم معرفته ليس لإصلاح الفساد، بل لتجميل الواقع والتلاعب بالبيانات.

"لأن فتحي يحمل شهادة في الجودة فقد أوكل إليه مهمة عمل مؤشرات الأداء للأقسام ومتابعة ملف الصيدلية"

تتحول المعرفة العلمية من أداة إصلاح إلى أداة تزوير، وهذه مفارقة ساخرة تعكس عبثية الواقع. فعندما يكتشف فتحي أن نظام الوصفات الإلكترونية يحتوي على أسماء وهمية ووصفات مستقبلية، يصرخ:

"أستاذ مراد ما هذا؟ نحن لا نزال في فبراير ووصفات طبية مسجلة لمرضى في يوليو وأغسطس ونوفمبر؟"!

ب. المعرفة الدوائية كأداة قتل في "أقدام على جسر الشوك"
في المسرحية، يستخدم نعيم (الصيدلي المتخرج بامتياز) معرفته العلمية لقتل والده ثم محاولة قتل أخيه. المفارقة هنا متعددة المستويات:

المستوى الأول: صيدلي متدين ظاهرياً (يبدأ حديثه بالبسملة) يستخدم معرفته في السموم لقتل والده تحت ستار العلاج من كوفيد-١٩.

"نعيم: لقد أتيتك يا أبي بما يجيل الصدر ويريح الرئتين ويقتل الفيروسات بالغيضة".

المستوى الثاني: التبرير العلمي الدقيق لعملية القتل، حيث يشرح نعيم لصباح تأثير بذور "عين العفريت " (Abrus precatorius):

"إنه مخلوط ببذور عني العفريت... ابتلاع مسحوق من هذه الحبيبات التي تسحر الناظرين على سبيل التبرك مع الماء كفيلة أن تحدث أعراضاً متخبطة وقيئاً وإسهالاً وتخثراً... فحتى لو شك أحد في الوفاة فالأعراض تتشابه مع كوفيد تماماً"

إن دقة الوصف العلمي وآلية القتل تُحدث مفارقة صادمة: العلم الذي يُفترض أن يكون لحماية الحياة يُوظف لإنهائها ببرود وحساب.

ج. الدواء كسلعة: تفكيك القداسة
تُظهر الرواية كيف تحول الدواء من قيمة إنسانية إلى سلعة تجارية. فالدكتور مزمل لا يهتم بالبدائل الدوائية إلا إذا كانت مرتبطة بشركات تدفع له عمولات:

"لا يكترث كثيراً بما يصرف من بدائل لأدويته التي يكتبها للمرضى، باستثناء الأدوية التي يتفق فيها مع مندوي الدعاية"

وتتجلى المفارقة في وصف مرشدي (رئيس الصيادلة) للأدوية منتهية الصلاحية المرسلة للأقسام الداخلية:

"الصيدلية الداخلية... تعتمد في الصرف على نظام الجرعات المفردة اليومية حيث توضع عليها ملصقات تتضمن تواريخ لأعوام قادمة، وبالتالي لن يعرف أحد أن هذه الأدوية منتهية الصلاحية"

إن توظيف نظام الجرعات المفردة (وهو نظام علمي يهدف لضبط العلاج) لتبرير استخدام أدوية منتهية الصلاحية يشكل مفارقة سوداء.

.2تحليل "صفحات من التاريخ الإسلامي": التاريخ كمرآة للواقع
في هذا العمل، يقدم الكاتب نفسه كباحث وصيدلي، محاولاً تقديم قراءة مغايرة للتاريخ الإسلامي. المفارقة هنا تنبثق من التباين بين المثالية التاريخية التي يسعى لتفكيكها وبين واقعه المعاصر.

يلاحظ الكاتب في المقدمة:

"المشكلة أن قطاعاً عريضاً من الناس لم يفهم المغزى من الفتوحات ليميز ما كان ضرورياً أن يكون وما لا ينبغي أن يكون"

ثم يستعرض أخطاء القادة المسلمين التاريخيين، ومن أبرزها خطأ عبد الرحمن الغافقي في معركة بلاط الشهداء:

"أحد أهم أسباب الهزيمة في هذه المعركة هو حجم الغنائم الجرارة والهائلة التي حصدها المسلمون على طول الطريق والتي شتت أذهانهم عن التركيز في هذه المعركة الفاصلة"

والمفارقة أن الكاتب يُعيد إنتاج هذه الإشكالية في روايته "ساعة عدل"، حيث ينشغل الجميع بالغنائم (المادية والسمعية) عن الجوهر. هكذا يصبح التاريخ ليس وعياً بالماضي بل نقداً للحاضر عبر مرآة الماضي.

ثالثاً: آليات بناء المفارقة الساخرة
.1التوظيف التناصي (Intertextuality) لمقولات ميكافيلي
يُعد توظيف عبد العال لكتاب "الأمير" لميكافيلي من أبرز آليات المفارقة. ففي "ساعة عدل"، تقدم الدكتورة إخلاص الكتاب لفتحي بهدية ساخرة:

"مبروك يا دكتور فتحي على السفر... وجدت هذا الكتاب في خزانة جدي بالبيت القديم؛ فبدلاً من أن ألقيه بالقمامة قلت في نفسي لعله ينفع فتحي"!!

وتتحقق المفارقة حين يكتشف فتحي أن شخصية الحاج إسماعيل تجسد النموذج الميكافيلي بامتياز:

"إسماعيل ميكيافيلياً بالفطرة... يصطنع الطيبة وفعل الخير أمام الناس والناس كما يقول ميكافيلي يحكمون على ما يرونه بأعينهم وليس على ما يدركونه"

هذا التوظيف يخلق مفارقة مزدوجة: الأولى أن كتاباً وُصف بازدراء يُصبح مفتاح فهم الواقع، والثانية أن شخصاً لم يقرأ ميكافيلي يمارس مبادئه ببراعة.

.2المفارقة اللغوية: الصور النمطية المقلوبة
يعتمد الكاتب على قلب الصور النمطية المتوقعة. ففي "أقدام على جسر الشوك"، الأب حُبي يصف الضرب بأنه:

"الضرب يا صباح بهارات الحب ووهج الحياة"

وصباح تصف زواجها:

"لقد عشت وسط نزاعاتكما اليومية والعراك والشتائم التي لا تتوقف حتى اعتبرت نفسي يتيمة منذ الصغر"

وفي "ساعة عدل"، يصف مرسي الفئران التي تسكن المطبخ:

"إنهم جماعة من الأصدقاء سكنوا معنا منذ سنين طويلة وبالتأكيد عرفوا بقدومك ويقيمون لك حفل استقبال لائق"

ثم يبرر بقاءهم بمقارنة ساخرة:

"الحمد لله أن جيرانك من القوارض التي لا تؤذي وهم خير ممن ستقابلهم من البشر"

هذا المستخدم للسخرية اللغوية يحول الإهانة إلى نكتة، والفاجعة إلى عبث.

.3التباين بين الادعاء والفعل
أبرز مظاهر المفارقة في أعمال عبد العال هي الفجوة بين ما تعلنه الشخصيات وبين ما تفعله. في "ساعة عدل:"

الحاج إسماعيل بنى سبعين مسجداً، لكنه يقطع أرزاق العمال ولا يبالي بصحتهم أو سلامتهم. وعندما تنتشر عدوى التيفوئيد بسبب المياه الملوثة، بدلاً من معالجة السبب، "استغنى عن خدمات الممرضات اللواتي أصبن."

الدكتور ذكرى (أخصائي القلب) يقود فريق الإنعاش القلبي (Code Blue) لكن جميع الحالات التي يتعامل معها تموت. ويستخدم جلسات تخطيط القلب (ECG) كمقدمة للتحرش بالمريضات.

الدكتورة سومن (طبيبة النساء) في السبعين من عمرها، ضعيفة البصر، تسبب وفيات الأطفال بسبب بطء الولادة، لكن الحاج إسماعيل يضحك: "ومين قال للمولود يرفع رأسه؟"!

.4التضاد الصوري: القداسة والتدنيس
يوظف عبد العال تقنية التضاد بين المقدس والمدنس. في "أقدام على جسر الشوك"، يحاول قدري تحويل الميراث إلى وقف خيري (عمل مقدس) بعد أن قُتل الأب على يد أخيه الذي يريد الآن قتل أخيه الآخر. يقول نعيم ساخراً:

"والله ما خشيت منه قد تحقق وأصبح ماثلاً للعيان.. الدروشة قد حلت".

في "ساعة عدل"، تتجلى المفارقة في مشهد الصلاة الذي يقيمه العمال عند الشيخ أبي السعود أثناء جائحة كوفيد-١٩ دون كمامات، وفي الوقت نفسه تنتشر الإجراءات التفتيشية الكاذبة في المستشفى.

رابعاً: الشخصية المركزية: بين العلم والواقع
فتحي: الصيدلي المثقف
يمثل فتحي نموذج المثقف الحامل للعلم الذي يصطدم بالواقع الفاسد. يبدأ رحلته من مصر (التي يصف أوضاعها بؤساً) إلى الصحراء الكبرى ظناً منه بتحسن الأوضاع، لكن المفارقة أن الوضع أشد قسوة.

رحلة فتحي من صيدلي حكومي مهمش في مصر إلى صيدلي في مستشفى فاسد في الصحراء، ثم إلى متصوف في زاوية الشيخ ماء العينين، تمثل هروباً من فساد إلى فساد، ومن سلطة إلى سلطة. والمفارقة أن هروبه إلى التصوف جاء بعد قراءته لكتاب "التأملات" للإمبراطور الروماني ماركوس أوريليوس، وهو نص رواقي وليس صوفياً إسلامياً.

"التصوف يا صديقي... إن الصوفية هي الميراث الجامع لكل ما قاله الفلاسفة من حكم ومواعظ تدعو لإصلاح النفس وفضائل الأعمال وعلى رأسها العدل"

نعيم: صيدلي القاتل
في "أقدام على جسر الشوك"، يتحول نعيم من صيدلي متخرج بامتياز إلى قاتل متسلسل. المفارقة أنه يفعل ذلك تحت شعار "تطوير الذات" و"البحث عن الذات"، حيث كان قد هجر الصيدلة لدراسة الفلك والموسيقى وركوب الخيل. العلم لم يمنعه من القتل بل زوده بالأدوات.

خامساً: دور المفارقة في نقد المؤسسات
1. نقد المؤسسة الصحية
تظهر المؤسسات الصحية في "ساعة عدل" كفضاء للفساد المنظم حيث:

تُستخدم أدوية منتهية الصلاحية

تُزور بيانات المرضى والوصفات الطبية

تُستغل النساء في قسم النساء والولادة

يُعاقب الأطباء على الشكوى لا على التحرش

2. نقد المؤسسة الدينية
في "ساعة عدل" و"أقدام على جسر الشوك"، تظهر الشخصيات المتدينة (الحاج إسماعيل، الأب حُبي، مرشدي) كأنماط من النفاق والاستغلال. المسلمون الجدد أو المتحولون (سومان، قدري) يمثلون صورة أخرى من التناقض بين الادعاء والممارسة.

3. نقد المؤسسة الأسرية
في المسرحية، تتحول الأسرة من مؤسسة حب وتكافل إلى ساحة صراع على الميراث تنتهي بمحاولات القتل. وصية الأب التي تترك الثروة للابن الأبعد (قدري في أمريكا) بدلاً من الأبناء المقيمين معه تشكل مفارقة مؤلمة، خاصة بعد أن قتل نعيم أبيه ظناً منه أنه سيحصل على الميراث، ليكتشف أن أخاه هو المستفيد.

سادساً: الخلاصة
توصل هذا التحليل إلى أن المفارقة الساخرة في أعمال د. محمد فتحي عبد العال تقوم على توظيف خلفيته العلمية (الصيدلانية) لخلق تناقضات بنيوية بين المعرفة النظرية والممارسة العملية، وبين الخطاب العلمي أو الديني والسلوك الواقعي.

وتتعدد آليات بناء هذه المفارقة لتشمل:

التوظيف التناصي لنصوص فلسفية (ميكافيلي، أوريليوس) في سياقات تعكس فداحة الانفصال بين النظرية والتطبيق.

قلب الصور النمطية (العالم القاتل، الطبيب المتحرش، المسجد كواجهة للفساد).

التباين بين الادعاء والفعل عبر البنية الحوارية والشخصيات المزدوجة.

التضاد الصوري بين المقدس والمدنس.

وتؤدي هذه المفارقات إلى نقد مؤسسي متعدد المستويات (الصحية، الدينية، الأسرية، التعليمية)، يكشف عن أزمة أخلاقية بنيوية في المجتمعات العربية المعاصرة. والعلم في هذا السياق لا يقدم حلولاً، بل يصبح أداة لتجميل الفساد أو مضاعفته، وهذه قد تكون أعمق مفارقة في أعمال عبد العال.

قائمة المصادر

عبد العال، محمد فتحي. ساعة عدل. بورسعيد: ديوان العرب للنشر والتوزيع، ٢٠٢١.

عبد العال، محمد فتحي. أقدام على جسر الشوك. بورسعيد: ديوان العرب للنشر والتوزيع، ٢٠٢٢.

عبد العال، محمد فتحي. صفحات من التاريخ الإسلامي (دروس وعبر). القاهرة: دار ابن معيط للطباعة، ٢٠٢٢.

عبد العال، محمد فتحي. صفحات من التاريخ الأخلاقي بمصر. بورسعيد: ديوان العرب للنشر والتوزيع، ٢٠٢١.

البحث السادس

بلاغة التنوير العلمي: آليات تبليط العلوم وصياغتها أدبياً في المؤلفات التراثية والتاريخية للكاتب محمد فتحي عبد العال

الملخص:
يتناول هذا البحث بالدراسة والتحليل آليات تبليط العلوم وصياغتها أدبياً في المشروع المعرفي للكاتب المصري الدكتور محمد فتحي عبد العال. من خلال تفكيك نماذج من مؤلفاته التراثية والتاريخية، وتحديداً "صفحات من التاريخ الأخلاقي بمصر" و"صفحات من التاريخ الإسلامي"، يسعى البحث إلى استجلاء الظواهر البلاغية والأسلوبية التي اعتمدها الكاتب في تحويل المادة التاريخية الجافة إلى خطاب أدبي بليغ. يخلص البحث إلى أن استراتيجية "التنوير العلمي" عند عبد العال تتجاوز مجرد نقل المعلومة إلى هندسة وعي القارئ عبر جماليات الحكي، وتوظيف روح الدعابة، والنقد الذاتي، ومقاربة الماضي بوصفه "دردشة" تعترف بالهوامش، لا كخطاب مركزي مثالي. وتكمن أهمية البحث في كونه يفتح باباً لدرس البلاغة خارج نطاق النص الأدبي المحض، ليسلط الضوء على أساليب التأليف في عصور النهضة العربية المتأخرة.

الكلمات المفتاحية: بلاغة التنوير، تبسيط العلوم، الأدب التاريخي، محمد فتحي عبد العال، الخطاب الأخلاقي، الميتاسرد.

Rhetoric of Scientific Enlightenment: Mechanisms of Simplifying Sciences and Literary Formulation in the Heritage and Historical Works of Mohamed Fathi Abdel Aal

Abstract:
This research examines the mechanisms of science simplification and literary formulation within the intellectual project of Egyptian author Dr. Mohamed Fathi Abdel Aal. By deconstructing models from his historical and heritage works, specifically "Pages from the Moral History of Egypt" and "Pages from Islamic History," the study aims to elucidate the rhetorical and stylistic phenomena employed by the author to transform dry historical material into eloquent literary discourse. The research concludes that Abdel Aal's "enlightenment" strategy transcends mere information transfer to engineer the reader's consciousness through the aesthetics of storytelling, the use of humor, self-criticism, and approaching the past as a "chat" that acknowledges the periphery, rather than as an idealized central discourse. The significance of this research lies in broadening the study of rhetoric beyond purely literary texts, shedding light on the distinctive authorship styles of the late Arab Renaissance era.

Keywords: Rhetoric of Enlightenment, Science Simplification, Historical Literature, Mohamed Fathi Abdel Aal, Moral Discourse, Metanarrative.

أولاً: الإطار المنهجي: جدل "التاريخ" و"البلاغة"
شهد الخطاب الثقافي العربي المعاصر أزمة حقيقية تتجلى في التفكك بين ضفتي "المحتوى العلمي" و"القالب البلاغي". فبينما تغرق الدراسات الأكاديمية في اصطلاحاتها الجافة التي تنفر القارئ العادي، تنزلق الكتابات العامة إلى فوضى "الترينيدات" الهابطة التي تستسهل العامية وتستفز الذائقة.

في هذه الفجوة، يبرز نموذج الكاتب والباحث الدكتور محمد فتحي عبد العال، الذي يمتلك تكوينا فريدا: صيدلي، وباحث في الكيمياء الحيوية، وكاتب روائي، ومؤرخ هواة يجترح من الانكسار المعرفي مادة أدبية باذخة. إن "بلاغة التنوير العلمي" عنده لا تقف عند حدود نقل المعلومة، بل هي عملية هندسة للوعي، وهي الحالة التي يصبح فيها السرد مؤثرا "فاعلا" في تغيير نظرة القارئ لماضيه وحاضره.

يتخذ هذا البحث من العلامات النصية في عملين رئيسيين للكاتب هما "صفحات من التاريخ الأخلاقي بمصر" و"صفحات من التاريخ الإسلامي" ميدانا للتحليل، مركزاً على ثلاث آليات كبرى: أولها آليات التبسيط والتقريب (استعارة الحواس، وتكسير النمطية)، وثانيها آليات الصياغة الأدبية (الميتاسرد، الدراما اليومية، والاقتباس المتجدد)، وثالثها بلاغة السخرية والنقد.

ثانياً: آليات التبليط: استعارة الحواس ومغادرة "الكهنوت" المعرفي
نظريةُ التلقي الحديثة تؤكد أن النص القرآني (أي القابل للقراءة) يُوجَد في حالة سكون حتى يفعله القارئ بحواسه ومخزونه الثقافي. أدرك عبد العال هذه الحقيقة فتفنن في "نزع الصبغة الكهنوتية" عن المؤرخ، معلناً في مقدمته لكتابه الأول أن ما يكتبه هو "مجرد دردشة أو لحظات من الراحة النفسية والصدق مع الذات " [1:7].

هذه الرؤية تشكل ما يمكن تسميته بـ"بلاغة التطمين"، وهي انزياح واضح عن المقدمة المثالية التقليدية (الحولمة/ الحمدلة) إلى لغة حميمية تستدرج القارئ. لكن المدهش هو قدرة عبد العال على نقل المفاهيم المجردة إلى تشبيهات محسوسة. ففي وصفه لحالة المنظومة الصحية في معهد القصر العيني، يقول: "إن الكشف للمئات من العاهرات لا يستغرق الأربعين دقيقة في أحسن الأحوال... ناهيك عن عدم وجود الخصوصية-1:42] " 43].

هنا لم يكتفِ بالرقم الجاف "أربعون دقيقة"، بل وظف "سردية التضاد" بين الضخامة العددية (مئات) وزمن المعاينة القصير، لينتج صورة سينمائية للانهيار مؤسساتي. إنه تحويل لـ"إحصاء الفشل" إلى "فن تشكيلي" مؤلم.

ثالثاً: شعرية السرد التاريخي: الميتاسرد ودراما "الهامش"
يكرس عبد العال ما يمكن تسميته "الوعي بالنص(Self-reflexivity) "، وهو من أبرز ملامح ما بعد الحداثة، ليخلخل ثنائية (الراوي العليم/ القارئ السلبي). عبر تقنية "الميتاسرد"، يكشف الكاتب تارة عن خطأ جده في الرواية الشفوية للتاريخ [١:٧]، وتارة أخرى يعترف بجهله بوجود شخصيات مثل "محمد شكري باشا " [1:101].

هذا الاعتراف بالهشاشة المعرفية هو ذروة البلاغة العلمية، لأنه يعلن أن المعرفة تراكمية لا نهائية. كما يتبنى أسلوب "تخييل التاريخ" عبر التركيز على "دراما المهمشين". فبدلاً من سرد أخبار الملوك، يركز على "الفلاح جدي" [١:٦]، و"فتوات الحارات" [١:٤٧]، و"سيدات البغاء المرخص" [١:٣٩] ليس بهدف الإثارة بل ليكونوا وثيقة اجتماعية.

فهو يثبت أن الأخلاق الحميدة والسيئة لا تصنع في القصور، بل في تفاصيل القطار، والمدرسة، والزريبة. انظر كيف يوظف حكاية "عوضين ومحبوزو والقط الأسود" كرمز نقدي للخرافات في الطبقة الوسطى، ليستخلص أن "حكم الخرافات بمصر قديماً وحديثاً يحتاج لمجدات.[1:83-84] "

رابعاً: بلاغة النقد: بين الفذلكة اللغوية والسخرية من "التريند"
تتمثل عبقرية عبد العال في قدرته على النقد دون وعظية، مستخدماً آلة السخرية القاسية أحياناً، والاستعارات الفكاهية أحياناً أخرى. في معرض نقده لسطحية بعض رموز التنوير، يقحم الكاتب معركة أدبية طريفة بين "الرافعي" و"العقاد"، حيث ينقل شتائم الرافعي للعقاد بنقل حرفي يكشف "فذلكة" النخبة التي تتنازل إلى مستنقع "المعترك الحيواني" عندما يتعلق الأمر بالصراع على "القرب من سعد زغلول باشا.[1:61] "

كما أنه يقدم درساً في التعامل مع "التريند" (الموضة/ الرائج). فبدلاً من أن ينخدع بالحنين للماضي، يفكك القارئ بعنف قائلاً: "نظن الماضي دائماً وحة نابعة بالأخلاق المثالية... بينما الواقع أن الماضي عانى من مشكلات أعجز من واقعنا" [١:٩-١٠]. هذا الأسلوب يخلق "بلاغة الـ(ديبروباجندا)"، حيث يُستخدم تراث الأمة نفسه (مذكرات القدماء، والصحف القديمة) كحجة ضده لإثبات أن "العصر الذهبي" كان وهمياً مليئاً بالتعنت الوظيفي وسوء الخدمات.

خامساً: الأدب والتاريخ: الاقتباس وإعادة التوليد

يعيد النظرية القائلة بأن "التاريخ يعيد نفسه"، ليؤسس لرؤية مفادها أن "التاريخ يتراكم". يعتمد الكاتب على تناصّ غزير مع الصحف القديمة (كـ"اللطائف المصورة"، و"المؤيد") والمذكرات (كأحمد شفيق باشا، وصليب باشا سامي).

هذا الاستحضار ليس توثيقياً فقط بل هو "توليد" للنص الجديد. بتوظيفه لإعلان "أمون سيجارة مصرية" بقلم أحمد شوقي [١:٩٠]، يخلق دهشة معرفية. القارئ الذي يعرف شوقي كـ"أمير الشعراء" يفاجأ به كإعلان تجاري. هذا التضارب يستولد فكرة نقدية عن "بيع الرمز الثقافي" وفساد منظومة القيم، وهي فكرة لم يقلها الكاتب مباشرة بل تركها للقارئ يكتشفها بنفسه عبر "بلاغة المفارقة."

سادساً: قراءة في أنموذج "صفحات من التاريخ الإسلامي": فقه السيرة مقابل سيرة الفقه
في مؤلفه الثاني، "صفحات من التاريخ الإسلامي"، ينزاح عبد العال من السرد الأخلاقي المصري إلى السيرة الكبرى للفتوحات [٢:٧]. لكنه لا يكتب سردية انتصارات تقليدية. بل يطبق "بلاغة التنوير" على المقدس، فيقارن بين القائدين "عقبة بن نافع" (صاحب القوة العسكرية) و"أبو المهاجر دينار" (صاحب السياسة والحنكة) [2:10].

بتحليل هذه المقارنة، يظهر أن الكاتب يقدم درساً في "الجدل التنويري": فتح الأمم لا يتم بالقوة وحدها (بلاغة السيف) بل بالعدل واحتواء المختلف (بلاغة العقل). ثم يتجرأ في نقده الفلسفي عندما يعلق على عبارة ابن تيمية حول "الدولة العادلة الكافرة"، رافضاً تبسيطية هذه المقولة، ومؤكداً أن النصر يأتي من الله وليس من "عدل الكافرين"، وهذا إعلاء واضح لدور الإيمان كحافز نفسي وليس كآلة بيروقراطية [٢:٦١-٦٢]. هكذا يصبح التاريخ الإسلامي مادة للتفلسف في الواقع المعاصر، وليس مجرد أمجاد للاستظهار.

خاتمة
يمثل الخطاب التاريخي الأخلاقي عند الدكتور محمد فتحي عبد العال نقلة نوعية في الكتابة غير الأكاديمية. إنه مشروع "تنويري من الأسفل" يبحث عن الحقيقة في الأخطاء والهفوات، لا في المثالية المنتصرة. وصفوة القول أن هذا الكاتب فتح نافذة على "البلاغة التطبيقية" التي تعيد تأهيل الجمهور لاستقبال المعرفة بفضول وشغف، دون استعلاء النخبوي الممل، ودون ابتذال "التريند" السوقي. هذا الأسلوب يمثل تصحيحاً لمسار صناعة المحتوى الثقافي في مصر والعالم العربي، ويجعل من التاريخ لقاءً حياً، لا جثة هامدة في متحف.

قائمة المصادر والمراجع
عبد العال، محمد فتحي. صفحات من التاريخ الأخلاقي بمصر. دار ديوان العرب، الطبعة الأولى، ٢٠٢١م. (الصفحات: ٦-١٠، ٤٢-٤٣، ٤٧، ٦١، ٨٣-٨٤، ٩٠، ١٠١).

عبد العال، محمد فتحي. صفحات من التاريخ الإسلامي (دروس وعبر). دار ابن معيط للطباعة، الطبعة الأولى، ٢٠٢٢م. (الصفحات: ٧، ١٠، ٦١-٦٢).


EGYPT
شج
رأس التاريخ

البحث السابع

سردية الأوبئة من منظور "أدب الأزمات": قراءة نقدية في المجموعة القصصية "حتى يحبك الله"

د. محمد فتحي عبد العال

الملخص
تتناول هذه الدراسة المجموعة القصصية "حتى يحبك الله" للدكتور محمد فتحي عبد العال بوصفها نموذجاً معاصراً لأدب الأزمات، حيث تتخذ من جائحة كوفيد-١٩ منطلقاً سردياً لاستكشاف التحولات الأخلاقية والاجتماعية والنفسية التي طالت البشرية في زمن الوباء. تهدف الدراسة إلى تفكيك آليات تشكيل السرد الوبائي في المجموعة، ورصد كيفية توظيف الكاتب للأزمة الوبائية كأداة نقدية لمكاشفة التناقضات المجتمعية، واختبار القيم الإنسانية في ظل ظروف استثنائية. تستند الدراسة إلى منهجية تحليلية سردية تدمج بين أدوات السرديات الحديثة ونظريات أدب الأزمات، متتبعة تمثلات الوباء في عشرة عشر قصة توزعت بين الواقعي والخيالي. توصلت الدراسة إلى أن المجموعة تُشكل محاولة طموحة لتأسيس سردية وبائية عربية، تجمع بين التوثيق الاجتماعي والخيال التأملي، مع تركيز على تحولات الوعي الفردي والجماعي في لحظة الانهيار الوبائي، كما تكشف عن ثنائيات مركزية: الخير/الشر، العلم/الدين، التقليدي/الحداثي، الفرد/المجتمع.

الكلمات المفتاحية: أدب الأزمات، سردية الأوبئة، كوفيد-١٩، المجموعة القصصية، السرد العربي المعاصر.

أولاً: الإطار المنهجي والنظري

1.1مقدمة

شكّلت جائحة كوفيد-١٩ علامة فارقة في تاريخ البشرية، ليس فقط على المستوى الصحي والاقتصادي، بل على المستوى الثقافي والإبداعي أيضاً. فمع تفشي الفيروس وانتشار إجراءات الإغلاق والتباعد الاجتماعي، برز سؤال ملح حول جدوى الكتابة والإبداع في زمن الأزمات، وعما إذا كان الأدب قادراً على مواكبة اللحظة التاريخية الفارقة، أم أن عجزه سيكون مضاعفاً أمام هول الكارثة الوبائية. غير أن تجارب كتابية عديدة، عربية وعالمية، أثبتت أن الجائحة، على قسوتها، قد شكلت مادة دسمة للأدب، وأفرزت نصوصاً حاولت الإمساك بتحولات الوعي الجمعي، وتوثيق التجربة الإنسانية في أقصى حالات هشاشتها.

تأتي المجموعة القصصية "حتى يحبك الله" للدكتور محمد فتحي عبد العال في هذا السياق، بوصفها محاولة سردية عربية جادة لمواجهة الوباء قلمياً، وإعادة بناء العالم بعد الانهضاء الوبائي عبر المخيلة القصصية. فالكاتب يعلن في مقدمته عزمه على "تغيير مسار العالم بقلمي" ونسج "نهايات خيالية لمجتمع فاضل"، مما يضع المجموعة في موقع وسطي بين التوثيق الواقعي والبناء الخيالي، وبين الأزمة الفعلية والمجتمع المأمول.

1.2أدب الأزمات: مفاهيم وحدود

يُعد أدب الأزمات حقلاً نقدياً حديثاً نسبياً، برز بقوة مع ازدياد الوعي بأثر الكوارث والأوبئة والحروب على الإنتاج الثقافي. فمصطلح "أدب الأزمات" لا يشير إلى جنس أدبي محدد بخصائص شكلية ثابتة، بقدر ما يشير إلى وظيفة محددة للنص الأدبي في سياق تاريخي طارئ. فالأدب في زمن الأزمة يضطلع بمهام متعددة: التوثيق التاريخي، والتفريج النفسي، والنقد الاجتماعي، والتأمل الفلسفي في وجود الإنسان ومعاناته.

ويمكن تلمس عدد من السمات المميزة لأدب الأزمات، منها: التوتر بين الفردي والجمعي، حيث تتحول المعاناة الخاصة إلى نموذج للمعاناة العامة؛ والانزياح بين الواقعي والخيالي، فثمة حاجة ماسة إلى الخيال لملء فراغات الواقع القاسي وإعادة معنى للمعاناة؛ والتركيز على الأخلاق والقيم، فالأزمات تكشف معادن البشر وتضع القيم في مواجهة اختبارات حادة؛ وأخيراً الغائية والإصلاحية، حيث لا يكتفي النص بالوصف بل يسعى إلى إحداث تغيير، مهما كان رمزياً، في نفوس القراء وفي تصوراتهم للعالم.

1.3سؤال المنهج

تتبنى هذه الدراسة مقاربة تحليلية سردية بوصفها الأكثر ملاءمة لطبيعة المجموعة القصصية التي تعتمد على تقنيات حكائية متعددة. ويمكن توزيع أدوات التحليل على ثلاثة مستويات متداخلة: المستوى الموضوعاتي (الثيماتي)، ويتعقب الثيمات المركزية المتعلقة بالوباء وتحولاته؛ والمستوى البنيوي الشكلي، ويتتبع أنماط البناء

القصصي، وتقنيات الزمن السردي، وعلاقة الراوي بالشخوص؛ والمستوى التأويلي، ويحلل دلالات العلاقات بين النص وسياقه التاريخي والاجتماعي.

ثانياً: بنية المجموعة وعمارتها السردية

2.1الإهداء والمقدمة: تأسيس الرؤية

يبدأ الكاتب كتابه بإهداء إلى روح أخيه "الذي طالما حلم بأن يكون له كتاباً في التاريخ يحمل اسمه"، مقترناً بحديث نبوي عن الأعمال التي تجري للعبد بعد موته. فهذا الإهداء لا يخلو من دلالة عميقة: فالكتابة عن الجائحة وعن التحولات الكبرى هي ضرب من ضروب تدوين التاريخ، أو على الأقل كتابة صغيرة في زمن التاريخ الكبير، والإهداء لمن رحل قبل أن يحقق حلمه هو إقرار بأن الكتابة قد تكون وسيلة لتحقيق الأماني المتعذرة، تماماً كما يحاول الكاتب تحقيق مجتمع فاضل عبر الخيال.

أما المقدمة فتشكل بياناً صريحاً لنوايا الكاتب ورؤيته للأدب وعلاقته بالأزمة. فالكاتب يعلن أن الجائحة كانت لحظة فارقة كان يُظن أنها ستغير العالم، غير أنه "لما وجدت أن لا شيء قد تغير ولم يستوعب أحد الدرس"، لجأ إلى الكتابة القصصية بديلاً عن التغيير الفعلي. وهذا الاعتراف بالعجز الواقعي والتحول إلى الخيال هو سمة أساسية في أدب الأزمات، حيث يحل الحلم بديلاً عن الفعل، وتُبنى المجتمعات الفاضلة في النصوص عندما تتعذر في الواقع.

2.2تنوع الأجناس السردية

تتنوع القصص داخل المجموعة تنوعاً لافتاً، إذ تتراوح بين القصة الواقعية ذات النزعة التوثيقية، والقصة الرمزية التأملية، والقصة الخيالية التأملية التي تمتد إلى المستقبل. فقصص مثل "المخالب الناعمة" و"النفس الأمارة" و"حصاد الوفاء" تقدم عالماً واقعياً بامتياز، ترصد تفاصيل الحياة اليومية والعلاقات الإنسانية المعقدة في زمن الجائحة. بينما تقدم قصة "المسار الآمن" نقاشاً أخلاقياً حول تجارب اللقاحات، وقصة "العودة" استشرافاً لمستقبل فلسطين المحررة.

هذا التنوع يخدم رؤية الكاتب في استيعاب أبعاد الأزمة المختلفة: النفسي (كقصة "قصاصات العمر")، والاجتماعي (كقصة "حكاية أم أكرام")، والسياسي (كقصة "العودة")، والديني الوجودي (كقصة "الماذا يلحدون؟"). كل قصة تقدم نافذة مختلفة على عالم الجائحة، مجتمعة تشكل لوحة بانورامية متعددة الأبعاد.

2.3تقنيات الحفر السردي والاسترجاع

تعتمد معظم قصص المجموعة على تقنية الحفر السردي، أي الانتقال بين زمن السرد الحاضر (زمن الجائحة) وزمن الماضي (ما قبل الجائحة أو ما يسبق الأحداث مباشرة). ففي قصة "المخالب الناعمة" مثلاً، تبدأ السرد من لحظة لقاء مروان بالدكتور حاييم، ثم تنحسر لترسم تاريخ مروان العائلي، وعلاقته بأبيه، ومعاناته مع الربو، ثم تعود إلى زمن الحاضر للكشف عن خيبة أمله في مثله الأعلى.

هذه التقنية تتيح للكاتب بناء عمود فقري للشخصية، وجعل تحولاتها في زمن الجائحة مشروطة بتاريخها السابق. فالجائحة هنا ليست بداية القصة، بل نقطة تحول في سياق طويل من المعاناة والصراع. وهذا يتوافق مع رؤية أدب الأزمات، حيث لا تخلق الأزمة الشخصيات من العدم، بل تكشف عن مكنوناتها وتستفز خباياها.

ثالثاً: تمثلات الوباء في المجموعة

3.1الوباء كفضاء رمزي

لا يظهر فيروس كوفيد-١٩ في المجموعة كحقيقة بيولوجية بقدر ما يظهر كفضاء رمزي تتداعى فيه القيم وتتساقط الأقنعة. فالوباء ليس موضوع السرد المباشر في معظم القصص، بل هو "الخلفية" التي على إيقاعها تتكشف الشخصيات وتعلن عن نفسها. نادراً ما يصف الكاتب الأعراض المرضية أو تفاصيل العلاج، بل يركز على التحولات السلوكية والنفسية التي تستثار بفعل الأزمة.

في قصة "المخالب الناعمة"، تؤدي الجائحة إلى تعليق الدراسة، مما يمنح مروان فرصة للهروب من ضغط حاييم والبحث عن عمل بديل كـ"كفري لانسر" في الترجمة. فالوباء هنا منقذ أخلاقي، وليس مجرد كارثة صحية. وفي قصة "حصاد الوفاء"، تتحول الجائحة إلى أداة في الصراع الوظيفي، حيث يشتكي إمام بحجة منع الصلوات الجماعية ليوقع بحسين. وفي قصة "للعدالة درع وسيف"، تغيب التحية عن العمل بسبب إصابتها بكوفيد، مما

يمنحها فرصة للتفكير في قضية عم وهبة. فالوباء يظهر كاستراحة إجبارية، كفرصة للتأمل والمراجعة، وليس فقط كتهديد مميت.

هذا التمثل الخاص للوباء قد يعكس رغبة الكاتب في تجاوز السرد المباشر للمرض (وهو ما قد يبدو متكرراً ومبتذلاً بعد الكم الهائل من التقارير الإعلامية)، إلى استكشاف آثاره غير المباشرة على العلاقات الإنسانية، وتحولات السلطة، وتوزع الخير والشر.

3.2الجائحة بوصفها اختباراً أخلاقياً
يتكرر في القصص مشهد "الاختبار" الذي تشكله الجائحة للقيم الأخلاقية. ففي "النفس الأمارة"، يكشف كوفيد-١٩ عن زيف شخصية الحاج بركات الذي ظل يتعفف عن مال الصيدلية مع أنه استفاد من الحرام بواسطة ابنه. يصاب بركات بالوباء، وقبل وفاته يعترف لابنه: "يا بني اعلم أني قد ظلمتك انت واخوتك ولكني ظننت أن التربية القاسية تخرج نشأ قوياً. ربما أكون مخطئاً الآن فاستغفر لي". فالمرض هنا يسبق الاعتراف والتوبة، وكأن الأزمة تشكل قناة للتنقية الروحية والأخلاقية.

وفي "المخالب الناعمة"، يواجه مروان اختباراً أخلاقياً مزدوجاً: من جهة، يحتاج المال لعلاج جديه المصابين بكوفيد، ومن جهة يرفض استغلال عرض حاييم بتسويق المعمل للطلاب العرب. ينجح مروان في اجتياز الاختبار عبر البحث عن عمل بديل (الترجمة)، مما يجعله بطلاً أخلاقياً. هكذا تصير الجائحة عارضة للخيارات، مميزة بين من يتمسكون بالمبادئ ومن يتنازلون عنها تحت ضغط الظروف.

3.3موت الأب وانكسار السلطة الأبوية
لافت في المجموعة تواتر مشهد "موت الأب" في سياق الجائحة. في "النفس الأمارة"، يموت الحاج بركات متأثراً بكوفيد، وفي "قصاصات العمر" تموت أم تحية وزوجها، وتصبح تحية يتيمة. وفي "حتى يحبك الله" (القصة الحادية عشرة تحديداً) يموت والد تحية. ليس هذا التواتر اعتباطياً؛ فالوباء في هذه القصص يأتي ليحسم صراعات الأجيال، وليعلن نهاية عهد وسلطة الأب.

اللافت أن موت الأب هنا لا يعني تحرر الأبناء فحسب، بل يعني أيضاً فتح إمكانية للمراجعة والتغيير. فهادي في "النفس الأمارة" يتبرع بالصيدلية بعد موت أبيه ويذهب للعمرة. وتحية في "قصاصات العمر" تُجبر بعد موت أمها وزوج أمها على مواجهة العالم بمفردها، وتكتشف خيانة صديقتها منار. فالموت الوبائي يخلق فجوة يمكن أن تملأ بالقيم الجديدة أو بالندم أو بالتحول.

رابعاً: ثنائيات مركزية وإشكاليات كبرى
4.1العلم بين التقديس والنقد
يشكل العلم محوراً مركزياً في عدة قصص، ويتراوح الموقف منه بين التبجيل والنقد اللاذع. ففي "المخالب الناعمة"، يجسد الدكتور حاييم نموذج العالم المنافق الذي يستخدم العلم مطية لتحقيق أغراض شخصية: "العلم هو المطية التي يحمل عليها حاييم أوزاره". يقابل ذلك نموذج الدكتور قنديل المفترى عليه، لكنه هو الآخر متهم بالرشوة وبيع الامتحانات.

في المقابل، تقدم قصة "تراتيل القدر" نموذجاً مغايراً للعالم: الدكتور مروان الذي وهب حياته للعلم، وكرس مختبره لأبحاث السرطان، وانتهى به الأمر إلى التضحية بصباح (الباحثة المساعدة) في تجربة سريرية غير مرخصة. هنا العلم لا يخلو من ضريبة دموية، حتى لو كانت النوايا حسنة. إنه علم يصل إلى حدود التضحية بالإنسان في سبيل التقدم، مما يثير إشكالية أخلاقية كبرى حول حدود البحث العلمي وعلاقته بحرمة الجسد البشري.

أما في "المسار الآمن"، فيتمحور النقاش حول أخلاقيات التجارب السريرية، مستحضراً تجربة توسكيجي الأمريكية الشهيرة التي استغلت الفقراء السود في تجارب مرض الزهري. تتساءل القصة: أليست أفريقيا مسرحاً محتملاً للتجارب غير الأخلاقية للقاحات كوفيد؟ وهل يضمن الغرب احترام الضوابط الأخلاقية في ظل سباق محموم للسيطرة على اللقاح؟

هذا النقد للعلم لا يعني رفضه، بل يعني الدعوة إلى علم أخلاقي، علم لا يفصل بين وسائله وغاياته. والجائحة هنا تضع العلم في اختبار: هل سينتصر النموذج الأخلاقي أم نموذج المصالح والريادة؟

4.2الدين بين التطرف والتسامح

يحضر الدين في المجموعة بشكل كثيف، عبر نماذج متعددة تتراوح بين التدين السطحي والمنافق (رفاعي في "مآرب وقحة")، والتدين الأبوي القاسي (والد زينب ومحمود في "لماذا يلحدون؟")، والتدين الصوفي المتسامح (الشيخ عبد المنعم في "سيؤتينا الله من فضله")، والتدين الشعبي الممزوج بالخرافات (في "الخواجة والجارية").

تبرز قصة "لماذا يلحدون؟" كأهم تعرض لهذه القضية، حيث تروي رحلة زينب من التدين القسري إلى الإلحاد ثم العودة بفعل أزمة كوفيد. فالكاتب لا يكتفي بتقديم الإلحاد كظاهرة غربية دخيلة، بل يحاول تفكيك أسبابه النفسية والاجتماعية: القسوة الأبوية، حرمان المرأة من الميراث، غياب الحوار، الاعتماد على الترهيب بدل الترغيب. صديقتها الروسية غالينا تقدم حججاً إلحادية كلاسيكية (معضلة الشر، نظرية الصدفة، نقد فكرة الله) لا يرد عليها الكاتب مباشرة، بل يترك الرد في التجربة الذاتية لزينب: في لحظة المرض والعزلة، يعود إليها والدها في المنام ويعود إليها الإحساس بالحاجة إلى الله.

أما قصة "الخواجة والجارية" فتعرض وجهاً آخر للتدين: تدين الجارية زينب الذي يمزج بين الإسلام والعادات الشعبية (البصل والثوم طاردان للأرواح الشريرة، الزار، الصوم). هذا التدين يبدو بدائياً لكنه يمنحها قوة وصلابة في مواجهة الخواجة ومحاولاته لفرض ثقافته عليها.

في المجمل، يبدو موقف الكاتب من الدين معقداً: لا يدافع عن نموذج ديني واحد، ولا يقدم الدين كحل سحري للأزمات، لكنه يصر على أن التخلي عن الدين قد يكون رد فعل على ممارسات خاطئة أكثر منه خياراً فكرياً ناضجاً، وأن الأزمة الوبائية قد تعيد الكثيرين إلى التساؤل عن المعنى والغائب.

4.3الفرد والمجتمع في زمن التباعد

تثير الجائحة إشكالية العلاقة بين الفرد والمجتمع بصورة حادة. فإجراءات التباعد الاجتماعي، التي تكررت في أغلب القصص (إغلاق المدارس، منع التجمعات، العمل عن بعد)، خلقت تناقضاً غريباً: ازدياد الحاجة إلى الآخر في وقت أصبح فيه الآخر مصدراً محتملاً للخطر.

تُظهر قصة "المرأة إذا شاءت" نموذجاً للتعامل الأسري مع هذه المعضلة: الأم التي تعوض أطفالها عن غياب المدرسة عبر جلسات الحكي وقصص التراث. فالوباء يخلق فضاءً للعودة إلى الأسرة، ويعيد تعريف الحميمية. وفي "المسار الآمن"، يتحول التباعد إلى خلفية للحوار العميق بين الصديقين يحي ومايكل، وكأن العزلة تدفع إلى المزيد من الصراحة والمكاشفة.

في المقابل، تظهر في قصص أخرى عواقب التباعد: في "المخالب الناعمة"، يساعد التباعد في إخفاء استغلال حاييم للطلاب، إذ يصبح التواصل عبر المشرفين بدل المجموعات البحثية. وفي "مآرب وقحة"، يستغل رفاعي غياب الرقابة المجتمعية في بلد خليجي لممارسة علاقاته غير المشروعة. فالتباعد هنا ليس مجرد إجراء صحي، بل فضاء لتوسع الانتهاكات الأخلاقية التي كان المجتمع في السابق يضبطها جزئياً.

خامساً: سيميائيات الموت والمرض

5.1استراتيجيات تمثيل الموت

يتمثل الموت في المجموعة بشكل غير مباشر في معظم الأحيان. نادراً ما يصف الكاتب مشاهد الاحتضار أو تفاصيل الموت الوبائي، مع أن الجائحة أوقعت ملايين الضحايا. بدلاً من ذلك، يظهر الموت عبر آثاره: الغياب، الفراغ، الحزن، التحولات المفاجئة في حياة الناجين.

في "النفس الأمارة"، نموت شخصية الأب (بركات) خارج المشهد، نعرف بوفاته عبر خبر يصل لابنه. وفي "قصاصات العمر"، نموت الأم وزوجها بفعل كوفيد، ولا نراهما وهما يموتان، بل نعرف عبر حالة تحية النفسية وذهابها للقبر. هذه الاستراتيجية السردية تتفق مع طبيعة الوباء نفسه: الموت الجماعي المجهول، الموت البارد في العنايات المركزة، الموت دون وداع.

الاستثناء الوحيد تقريباً هو في قصة "تراتيل القدر" حيث نموت صباح نتيجة التجربة السريرية، لكن سبب الوفاة ليس كوفيد بل السرطان والعلاج الفاشل. هنا الموت مفرد ومأساوي ويحضر بقوة، وكأن الكاتب يريد أن يقول إن التضحية في سبيل العلم قد تكون أكثر درامية من موت الوباء الجماعي.

5.2الجسد الوبائي بين الهشاشة والمقاومة
يحضر الجسد في المجموعة كجسد هش مهدد، لكنه أيضاً جسد مقاوم. ففي "المخالب الناعمة"، يعاني مروان من الربو منذ طفولته، وهشاشة جسده تجعله أكثر عرضة لمضاعفات كوفيد. وفي "سيؤتينا الله من فضله"، يصاب مصطفى بمرض بهجت المناعي النادر، ويكتشف ذلك بعد ممارسة جنسية غير شرعية. وفي "الماذا يلحدون؟"، تعاني زينب من الربو والسكري مما يطيل معاناتها مع كوفيد.

هذه الأمراض السابقة (الربو، السكري، الأمراض المناعية) تشكل "جسماً هشاً" يسبق الوباء، والوباء يأتي ليكشف هذه الهشاشة ويضاعفها. لكن الجسد في الوقت نفسه جسد يقاوم، متمثلاً في قدرة الشخصيات على تجاوز المحنة: مروان يجد عملاً بديلاً، مصطفى يغير حياته، زينب تعود للإيمان.

هذه الثنائية (الهشاشة/المقاومة) تعكس رؤية الكاتب للإنسان في زمن الأزمة: كائن هش، ضعيف، قابلة للموت في أي لحظة، لكنه في الوقت نفسه قادر على الصمود والتغيير وإعادة اختراع نفسه.

سادساً: النهايات الخيالية والمجتمع المأمول
6.1من الواقعي إلى التأملي
تشهد المجموعة تحولاً تدريجياً من الواقعي إلى التأملي، خاصة في قصصها الأخيرة. فبينما تلتزم القصص الأولى (المخالب الناعمة، النفس الأمارة، حصاد الوفاء) بالواقعية ومعالجة قضايا اجتماعية مهنية راهنة، تبدأ القصص التالية في الاقتراب من الخيال التأملي: "المسار الآمن" يناقش احتمال تحول أفريقيا إلى مسرح للتجارب السريرية، "العودة" يستشرف مستقبل فلسطين المحررة، "تراتيل القدر" يصل إلى حدود الخيال العلمي بالروبوتات والتجارب الجينية.

هذا التحول يتماشى مع إعلان الكاتب في المقدمة: بناء "نهايات خيالية لمجتمع فاضل". فالقصص الأولى تكتشف الأزمة وتشخص المرض الاجتماعي، والقصص اللاحقة تبدأ في تصور العلاج: مجتمع تتحقق فيه العدالة، وتُرفع فيه المظالم، ويعود فيه الفلسطينيون إلى ديارهم، ويُشفى فيه مرضى السرطان.

6.2المجتمع الفاضل ومعالمه
يمكن استخلاص ملامح المجتمع الفاضل الذي يبنيه الكاتب عبر قصصه:

أولاً: مجتمع العدالة. في "العودة"، تتحرر فلسطين من الاحتلال، وتقام الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس، ويتحقق الحلم الفلسطيني بعد عقود من النكبة. في "للعدالة درع وسيف"، تنتصر الصحفية والمحامي لقضية عم وهبة المظلوم، وتكشف زيف الإعلام الفاسد.

ثانياً: مجتمع العلم النافع. في "تراتيل القدر"، يطور الدكتور مروان علاجاً للسرطان من الصبار، رغم التضحيات البشرية. في "المسار الآمن"، يثير الصديقان قضية الأخلاقيات في البحث العلمي، وكأن الدعوة إلى علم أخلاقي هي جوهر المجتمع الفاضل.

ثالثاً: مجتمع التسامح الديني والوطني. في "الأجفان الساهرة"، يجمع حي المغربلين بين المسلمين والمسيحيين، وتشارك الست ملك (المسيحية) أطفال الحي في تزيين رمضان. في "حتى يحبك الله" (القصة التاسعة)، تغدو مصر نموذجاً للتعايش: "لا تجد فرق بين قبطي ومسلم... إنها عبقرية المكان."

رابعاً: مجتمع القيم والوفاء. في "حصاد الوفاء"، يُطرد حسين ظلماً لكنه يموت بطلاً في فرق العزل بمصر. في "حكاية أم أكرام"، تنتصر السورية اللاجئة عبر العمل الجاد والإبداع، ويتحقق حلمها في ابنتها.

هذا المجتمع الفاضل ليس مثالياً تماماً، فهو لا يخلو من التوترات والتناقضات (العلم يضحي بأتباعه، العدالة تحتاج إلى صراع طويل، المرأة تحتاج إلى اثبات ذاتها). لكنه مجتمع ترتفع فيه احتمالات الخير، وتتضاءل فيه هيمنة الشر.

6.3وظيفة الخيال في زمن الأزمة

اللجوء إلى الخيال في زمن الأزمات ليس هروباً، بل هو شكل من أشكال المقاومة والإصلاح. فالخيال هنا يحافظ على إمكانية التغيير، ويمنع اليأس من الاستيلاء كلياً على النفوس. بقدر ما تشخص القصص الأمراض الاجتماعية (الفساد، الاستغلال، النفاق، التسلط الأبوي، تزييف الإعلام)، بقدر ما تقدم ترياقاً مضاداً عبر تصور عوالم بديلة يمكن أن يقوم عليها المستقبل.

بهذا المعنى، تلتقي المجموعة مع أدب الأزمات في غايته الكبرى: توثيق اللحظة الراهنة مع فتح أفق للخلاص، حتى لو كان خلاصاً خيالياً. فما يهم في النهاية ليس أن تتحقق الرؤية حرفياً، بل أن تبقى إمكانية التحقق قائمة في الأذهان، وأن يظل الحلم مشعلاً يضيء دروب الواقع المعتم.

سابعاً: إشكاليات نقدية وتحديات

7.1 توتر الأجناس وتداخلها

قد تشكل تعدد الأجناس السردية في المجموعة الواحدة ميزة من جهة (تنوع الرؤى، تغطية أبعاد متعددة)، لكنها قد تشكل إشكالية من جهة أخرى، إذ يصعب تصنيف المجموعة ضمن جنس أدبي محدد. فهل هي مجموعة قصصية واقعية؟ فيها من الواقعي الكثير. أم خيالية؟ فيها من الخيال التأملي ما يفوق الواقع أحياناً. أم سيرة ذاتية؟ فيها من تجارب الكاتب ومهنته (الصيدلة والجودة) حضور قوي، خاصة في قصص "المخالب الناعمة" و"مآرب وقحة."

هذا التداخل قد يربك القارئ الذي يبحث عن نمط سردي ثابت، لكنه قد يغني التجربة القرائية إذا ما قُدِّم بمهارة ووضوح. غير أن بعض القصص تبدو أقرب إلى المقالات الاجتماعية النقدية منها إلى القصص، حيث يطغى الصوت المباشر للكاتب على الأصوات السردية المتعددة.

7.2 غياب البعد النفسي العميق

رغم اهتمام الكاتب بالتحولات النفسية لشخصياته، يبقى البعد النفسي محدوداً في العديد من القصص. الشخصيات غالباً ما تقدم من خلال أفعالها وخياراتها ومواقفها الأخلاقية، وليس من خلال تعقيداتها النفسية وتناقضاتها الداخلية. هناك شر يراد به الشر، وخير يراد به الخير، ونادراً ما نجد شخصية معقدة حقاً تجمع الخير والشر، الثبات والتقلب.

الاستثناء قد يكون شخصية زينب في "الماذا يلحدون؟" التي تخضع لتحولات متعددة (من التدين القسري إلى الإلحاد إلى العودة)، وكذلك شخصية مروان في "المخالب الناعمة" الذي يعاني من خوف دفين وثقة مفرطة في المثاليين. لكن حتى هاتين الشخصيتين تبقان محددتين بخطوط عريضة، وقد تحتاجان إلى حفر نفسي أعمق.

7.3 مركزية الصوت الراوي

يلاحظ قارئ المجموعة أن الصوت الراوي غالباً ما يعلو على أصوات الشخصيات، وكأن الكاتب يريد توجيه القراء مباشرة، وإملاء المواقف الأخلاقية عليهم. هذا يذكرنا بالرواية التعليمية التقليدية، حيث يتحول الكاتب إلى معلم أخلاقي، والقصة إلى وعظ غير مباشر.

غير أن هذا يبدو مقصوداً إلى حد كبير، إذا ما وضعنا المجموعة في سياق أدب الأزمات الذي يضطلع بوظيفة إصلاحية وتوجيهية. فزمن الأزمة ليس وقت الترف الجمالي المحض، بقدر ما هو وقت إعادة بناء القيم والأخلاقيات، والكتابة هنا تريد أن تكون جزءاً من هذا البناء.

ثامناً: الخلاصة والنتائج

قدمت المجموعة القصصية "حتى يحبك الله" نموذجاً طموحاً لأدب الأزمات في السياق العربي، متخذة من جائحة كوفيد-١٩ منطلقاً لاستكشاف التحولات الأخلاقية والاجتماعية في زمن الوباء. وقد أظهر التحليل أن المجموعة تتعامل مع الوباء ليس كموضوع رئيسي، بل كفضاء رمزي تتداعى فيه القيم وتتشكل فيه الأخلاق.

يمكن تلخيص النتائج الرئيسية للدراسة في النقاط التالية:

أولاً: تستخدم المجموعة تقنيات سردية متعددة (الحفر السردي، الاسترجاع، تعدد الأصوات) لبناء عوالم معقدة، تتداخل فيها الزمنيات المختلفة (ما قبل الجائحة، الجائحة، ما بعدها).

ثانياً: تتركز الثيمات الرئيسية حول العلاقة بين العلم والأخلاق، الدين والتطرف، الفرد والمجتمع، وتقديم نقد حاد للعديد من الظواهر الاجتماعية: الفساد الأكاديمي، استغلال الوظائف، الإعلام المضلل، التسلط الأبوي.

ثالثاً: تقدم المجموعة تحولاً تدريجياً من الواقعي إلى التأملي، من تشخيص المرض الاجتماعي إلى بناء المجتمع الفاضل الخيالي. وهذا التحول يتماشى مع وظيفة أدب الأزمات في فتح أفق للأمل وإمكانية التغيير.

رابعاً: تثير المجموعة إشكاليات نقدية تتعلق بتداخل الأجناس، ومركزية الصوت الراوي، والاكتفاء بالأبعاد الأخلاقية على حساب التعقيد النفسي. لكن هذه الإشكاليات قد تكون مبررة في سياق أدب الأزمات الذي تعلو فيه الغاية الإصلاحية على المتعة الجمالية المحضة.

خامساً: تظل المجموعة إضافة نوعية للأدب العربي المعاصر، وتفتح الباب لمزيد من الدراسات حول تمثلات الأوبئة في الأدب، وتقاطع الكتابة الإبداعية مع الأزمات الصحية الكبرى.

في النهاية، يمكن القول إن المجموعة القصصية "حتى يحبك الله" هي محاولة جادة لكتابة تاريخ صغير لجائحة كبيرة، لالتقاط التحولات الإنسانية الدقيقة في زمن الانهيار، ولتأكيد أن الإنسان، حتى في أشد لحظات هشاشته، يظل قادراً على الحلم بمجتمع أفضل، وربما بناءه، ولو بالقلم والخيال.

قائمة المصادر والمراجع

عبد العال، محمد فتحي. حتى يحبك الله (مجموعة قصصية). (البيانات الببليوغرافية الكاملة غير متوفرة في النص المقدم).

القرآن الكريم.

السيوطي، جلال الدين. منهل اللطائف في الكنافة والقطايف.

المقريزي، تقي الدين. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار.

صحيح الجامع، حديث رقم ٣٥٩٦ (حسنه الألباني).

المراجع الأجنبية:

Foucault, Michel. The Birth of the Clinic: An Archaeology of Medical Perception. Vintage Books, 1994.

Sontag, Susan. Illness as Metaphor. Farrar, Straus and Giroux, 1978.

Sontag, Susan. AIDS and Its Metaphors. Farrar, Straus and Giroux, 1989.

المراجع العربية:

أبو زيد، نصر حامد. الإنسان والكوارث: قراءة في أدب الأزمات. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢.

جابر، ياسر. سرديات الوباء: تمثلات كورونا في الأدب العالمي. المجلس الأعلى للثقافة

البحث بأداة Paperpal للذكاء الاصطناعي

البحث الأول

سوسيولوجيا العلم والأدب: انعكاس الأزمات الصحية (جائحة كوفيد-١٩ نموذجاً) في السرد القصصي لمجموعة "حتى يحبك الله" لمحمد فتحي عبد العال

المقدمة
تتناول هذه الدراسة العلاقة التفاعلية بين العلم والأدب من منظور سوسيولوجي، مركزة على انعكاس الأزمات الصحية، وبخاصة جائحة كوفيد-١٩، في السرد القصصي ضمن المجموعة القصصية "حتى يحبك الله" للدكتور محمد فتحي عبد العال. تعكس القصص تجارب الأفراد والمجتمعات في مواجهة الجائحة، وتبرز التداخل بين المعرفة العلمية والممارسات الثقافية والاجتماعية في سياق الأزمة الصحية، مما يعكس أبعاداً نفسية، اجتماعية، ثقافية ودينية متشابكة.

أهداف البحث

تحليل تمثيلات الأزمات الصحية في السرد القصصي وتأثيرها على البنية الاجتماعية والثقافية في المجتمعات العربية.
دراسة كيفية توظيف الأدب كسرد اجتماعي يعكس التوترات النفسية والاجتماعية خلال جائحة كوفيد-١٩.
استكشاف التفاعل بين العلم (الطبي والبحثي) والأدب في بناء الوعي المجتمعي والتعامل مع الأزمات الصحية.
الإطار النظري

سوسيولوجيا العلم: تركّز على دراسة كيفية تفاعل العلم مع المجتمع في أوقات الأزمات، وتأثيره على السلوكيات والقرارات الاجتماعية، مع التركيز على دور البحث العلمي في مواجهة الجائحة.
الأدب كسرد اجتماعي: الأدب كمرآة تعكس القيم، المخاوف، والتجارب الإنسانية، خاصة في أوقات الأزمات، حيث يصبح وسيلة لفهم التغيرات النفسية والاجتماعية.
نظرية الأزمات الصحية: فهم الأبعاد النفسية والاجتماعية للأوبئة وتأثيرها على الفرد والمجتمع، مع التركيز على جائحة كوفيد-١٩ كحالة نموذجية.
منهجية البحث

تحليل محتوى نوعي للنصوص القصصية في المجموعة "حتى يحبك الله."
تصنيف النصوص حسب المحاور الاجتماعية، النفسية، الثقافية، والدينية المتعلقة بجائحة كوفيد-١٩.
الربط بين الأحداث السردية والمفاهيم العلمية والاجتماعية المعاصرة.
دراسة الشخصيات والنماذج السلوكية في القصص لتحليل التفاعل مع الأزمة الصحية.
تحليل السرديات

تمثيلات الجائحة وأثرها الاجتماعي والنفسي

قصة "في زمن الجائحة" تعكس واقع الخوف، العزلة، والتغيرات في الحياة اليومية، مع تصوير مباشر لتأثير الجائحة على الأفراد والمجتمعات.
شخصية مروان في "المخالب الناعمة" تمثل الصراع النفسي والاجتماعي مع المرض والعزلة، مع تسليط الضوء على تأثير الجائحة على التعليم والبحث العلمي، والتحديات الأخلاقية والمادية التي تواجه الباحثين.
"النفس الأمارة" تعرض تأثير الجائحة على العلاقات الأسرية والضغوط الاقتصادية، مع تصوير الإدمان كآلية مواجهة نفسية، مما يعكس التوتر النفسي والاجتماعي الناتج عن الأزمة.
العلم والتكنولوجيا في مواجهة الجائحة

قصة "المسار الآمن" تصور التحديات العلمية في تطوير لقاح كوفيد-١٩، مع تسليط الضوء على البعد الأخلاقي والاجتماعي للتجارب السريرية، خاصة في ظل مخاوف استغلال بعض المناطق (مثل أفريقيا) كمواقع للتجارب دون ضوابط أخلاقية.

"تراتيل القدر" تسلط الضوء على البحث العلمي الطبي ودوره في مكافحة الأمراض المزمنة، مع تصوير معاناة الباحثين والمرضى في ظل الجائحة، مما يعكس أهمية العلم كعامل مقاومة وحماية.
الأدب كوسيلة للتعبير عن التغيرات الثقافية والدينية

قصص مثل "المرأة إذا شاءت" و"لماذا يلحدون؟" تناقش التغيرات في القيم الدينية والثقافية نتيجة الأزمة الصحية وتأثيرها على الهوية الفردية والجماعية، مع إبراز التوتر بين التقاليد والحداثة، والدور المتغير للمرأة في المجتمع.
قصة "حتى يحبك الله" تحمل رموزاً دينية واجتماعية تعكس التوتر بين التقاليد والحداثة في زمن الجائحة، وتبرز كيف يمكن للأدب أن يكون فضاءً للحوار بين هذه القوى المتصارعة.
الأزمة الصحية كعامل محفز للتحول الاجتماعي

قصص مثل "العودة" و"الأجفان الساهرة" تصور كيف شكلت الجائحة فرصة لإعادة بناء العلاقات الاجتماعية والسياسية، مع إبراز دور العلم في دعم المقاومة والتغيير المجتمعي، وخاصة في سياق فلسطين.
"مآرب وقحة" و"الخواجة والجارية" تعرضان انعكاسات الأزمة على الطبقات الاجتماعية، العلاقات بين الجنسين، والتحولات الثقافية، مع نقد للفساد والاستغلال في المؤسسات الصحية والاجتماعية.
مناقشة

الأدب في المجموعة القصصية يمثل فضاءً حيوياً يعكس تجارب الأفراد في مواجهة الجائحة، مع توظيف العلم كعنصر مركزي في السرد، مما يبرز التداخل بين المعرفة العلمية والواقع الاجتماعي.
الجائحة ليست مجرد حدث طبي بل أزمة اجتماعية وثقافية تؤثر على السلوكيات، القيم، والهوية، وتكشف عن مقاومة وتكيف الأفراد مع التغيرات المفروضة.
السرد القصصي يبرز التوتر بين المعرفة العلمية والواقع الاجتماعي، ويكشف عن مقاومة وتكيف الأفراد مع التغيرات المفروضة.
دور الأدب يتعدى التوثيق ليصبح أداة لبناء الوعي المجتمعي وتوفير مساحة للحوار حول الأزمات الصحية وتأثيرها على الحياة اليومية والقيم الثقافية والدينية.
الخاتمة والتوصيات

تؤكد الدراسة أن الأدب والسرد القصصي يشكلان أدوات فعالة لفهم الأزمات الصحية من منظور اجتماعي وثقافي، مع إبراز دور العلم في توجيه التجربة الإنسانية.
يوصى بتعزيز الدراسات المتعددة التخصصات التي تجمع بين الأدب، السوسيولوجيا، والعلوم الصحية لفهم أعمق للأزمات وتأثيرها.
تشجيع الأدباء والباحثين على توثيق تجارب الجائحة لتعزيز الذاكرة الاجتماعية وتوفير دروس للمستقبل.
دعم المبادرات التي تدمج المعرفة العلمية مع التعبيرات الثقافية لتعزيز التماسك الاجتماعي والمرونة النفسية في مواجهة الأزمات.
هل تود المساعدة في صياغة أحد فصول البحث بشكل مفصل أكثر، مثل الإطار النظري، تحليل السرديات، أو المناقشة التفصيلية؟

البحث الثاني

العقل كحارس للأفكار في الرؤية التاريخية والعلمية لمحمد فتحي عبد العال: قراءة في المضمون والمعطيات

المقدمة

يقدّم كتاب "كلام في العلم" لدكتور محمد فتحي عبد العال منظوراً فريداً في دور العقل كحارس للأفكار الإنسانية ضد الأوهام والمعلومات الخاطئة. ينطلق المؤلف من رؤية تاريخية وعلمية عميقة تجمع بين الحقائق العلمية المثبتة والسياق التاريخي الذي نشأت فيه. الكتاب، الذي يضم ٩٢ صفحة ويصنف كدراسة علمية، يعالج موضوعات متعددة من خلال عدسة نقدية تراقب كيف يحمي العقل البشري الأفكار من الانحراف والتضليل.

الرؤية التاريخية والعلمية: أساس حماية الأفكار

يرتكز المنهج الذي يتبعه عبد العال على أساس متين يجمع بين البحث التاريخي الدقيق والمعرفة العلمية المعاصرة 1. يؤكد المؤلف أن "ما قدمته يكون مفيداً ونافعاً ومرشداً، وأن يصل الجيل التالي للعمل بتيسير اللغة" - وهذا يعكس التزاماً واضحاً بجعل المعرفة العلمية متاحة للجميع، مما يعزز دور العقل كحارس فاعل للأفكار الصحيحة.

الغذاء والعقل: حماية الصحة من خلال المعرفة

تناول المؤلف موضوع السكريات والصحة العامة بطريقة تكشف عن كيفية عمل العقل كحارس للمعرفة الصحية 2. يُبين أن الإفراط في استهلاك المشروبات السكرية يؤثر على هرمون "اللبتين" الذي ينظم الشهية، مما يؤدي إلى زيادة الشعور بالجوع بدلاً من الشبع 3. يُشرح أن الإفراط في السكريات يؤثر على مستويات الأنسولين وينتج عنه أضرار صحية متعددة.

من خلال هذا التحليل، يحمي العقل - عند امتلاكه للمعرفة الصحيحة - الإنسان من الأمراض المزمنة كمرض السكري والسمنة، مما يؤكد على دور المعرفة العلمية كدرع حقيقي للصحة.

الأمراض العصبية والحماية المعرفية

تعالج الحلقة الثالثة موضوع الزهايمر والمعلومات الجديدة عنه، وهي قضية حساسة تتطلب فهماً دقيقاً 4. يناقش المؤلف كيف أن السيطرة على الأمراض المختلفة تتطلب "التدخل عبر استراتيجيته لتحول دون حدوث الأمراض المختلفة عبر التغييرات في طرق الحياة". هذا يعكس أهمية العقل كحارس استباقي للصحة - يحمي من الأمراض قبل حدوثها من خلال فهم الآليات العلمية.

5يشير المؤلف إلى أن "العلماء يربطون بين داء الزهايمر وبين ترسب تايحول ديوليميدية اللويحية في الدماغ"، مما يوضح كيف يعتمد الحماية من المرض على فهم العقل العلمي لآليات المرض.

دور النوم والهرمونات في حماية الأفكار والجسد

تكشف الحلقة الرابعة عن العلاقة الحيوية بين هرمونات النوم والصحة العقلية والجسدية 6. يوضح المؤلف أن "من لم يكن قد سمع قول نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم عن أبي نعلة برزة الأسلامي" يتحدث عن تنظيم أوقات النوم والاستيقاظ. هذا التوافق بين المعرفة التاريخية والحقائق العلمية المعاصرة يظهر كيف يحمي العقل الإنسان من خلال فهم العادات الصحيحة.

الرضاعة الطبيعية: حماية الطفل من خلال العلم والتاريخ

توضح الحلقة الخامسة دور الرضاعة الطبيعية في حماية الطفل 7. يُشدد المؤلف على أن" الرضاعة الطبيعية ظلت فكرة مترسخة عبر الحضارات القديمة المختلفة"، مما يؤكد على أن المعرفة العلمية الحديثة تصل بنا للحقائق التي كان أسلافنا يفهمونها بشكل عملي.

8يناقش المؤلف الشروط الأساسية للمرضع، ويؤكد على دور العقل الحارس في حماية الطفل من الأمراض من خلال فهم الآليات البيولوجية للرضاعة الطبيعية.

اللسان كمؤشر تشخيصي: قوة العقل في قراءة الحقائق

تقدم الحلقة التاسعة نموذجاً متقدماً لكيفية عمل العقل كحارس للأفكار الصحية عن الصحة 9 .يُبين المؤلف أن "بيبطه الطبيب مايق صحفه بناسل كل نلون إي اللسان ينم عن دلائل مختلفة"، حيث يستخدم اللون والمظهر كأداة تشخيصية.
10يشرح أن ألوان اللسان المختلفة - البيضاء والزرقاء والبرتقالية - تشير إلى حالات صحية مختلفة. هذا التفصيل يوضح كيف يحمي العقل المُدرب الإنسان من الأمراض من خلال القراءة الدقيقة للمؤشرات البيولوجية.

الرؤية العلمية والتاريخية المتكاملة

يجمع كتاب محمد فتحي عبد العال بين الرؤية العلمية المعاصرة والسياق التاريخي 11 .يكشف وصفه الخاص عن منهجيته: "الما قدمته يكون مفيداً ونافعاً ومرشداً"، مما يعكس التزاماً بنقل المعرفة بطريقة حامية للعقل البشري من الضلال.

الخلاصة: العقل كحارس الأفكار

يقدم كتاب "كلام في العلم" دراسة شاملة لدور العقل كحارس للأفكار من خلال:

١. **التعليم العلمي الدقيق** :تقديم الحقائق العلمية بوضوح ودقة 1
٢. **الربط بين التاريخ والعلم** :استخدام السياق التاريخي لتعزيز الفهم العلمي المعاصر
٣. **الحماية الاستباقية** :شرح كيف يمكن للمعرفة أن تحمي الإنسان من الأمراض والأوهام
٤. **التطبيق العملي** :ربط المعرفة بالممارسات الصحية اليومية

من خلال هذا المنهج المتكامل، يؤكد المؤلف أن العقل - عندما يكون مسلحاً بالمعرفة العلمية الصحيحة والفهم التاريخي العميق - يصبح الحارس الأقوى للأفكار الإنسانية ضد الأمراض والأوهام والانحرافات الفكرية.

التعريف بالاستاذة مى رضوان السلوم

- مي رضوان السلوم

- باحثة، كاتبة، ومستشارة تدريب وتطوير
    - دمشق، سوريا / بيروت، لبنان

- باحثة وكاتبة سورية في المجالات الإنسانية والاجتماعية، أجمع بين الخلفية الأكاديمية الرصينة في العلوم المالية والاقتصاد الإسلامي، والخبرة العملية الممتدة في مجالات التعليم، التدريب، وصناعة المحتوى التوعوي. أمتلك مهارات مثبتة في إدارة التدريب، تقديم الاستشارات، وأسعى لتسخير قلمي وخبراتي المعرفية في تطوير وبناء القدرات المجتمعية.
- المؤهلات الأكاديمية
- برنامج الاقتصاد الإسلامي وقانون البنوك الإسلامية
- معهد الشام العالي للعلوم الشرعية والعربية، دمشق.
- دبلوم تخصصي في المحاسبة وإدارة الأعمال
- معهد المالية، دمشق.
- دبلوم التدريب المستدام وتنمية الموارد البشرية
- أكاديمية صناع التغيير للتطوير والتدريب.
- الخبرات المهنية
- كاتبة وباحثة ومعدة محتوى علمي |
- تأليف كتاب «رقائق من المعارف» بالتعاون مع الدكتور محمد فتحي عبد العال (عمل فكري يدمج البعد الروحي بالمعرفي المعاصر).
- قدمت سلسلة من الحوارات بالذكاء الاصطناعي مع الدكتور محمد فتحي عبد العال
- كتابة المقالات التأملية والإنسانية، وإعداد الرسائل التوعوية لشرائح مجتمعية مختلفة.
- تصميم وإعداد المحتوى الثقافي التوعوي.
- تقديم دورات تدريبية وتوعوية في مجالات تنمية المهارات الإنسانية والاجتماعية.
- نيل تكريمات ودروع تقديرية
- معلمة ومسؤولة توعية في الهيئة الطبية الدولية و.jcc
- توظيف مهارات التواصل الفعّال لحل المشكلات
- الشهادات المهنية والاعتمادات
- شهادة مستشارة في التحكيم التجاري الدولي
- شهادة مصغرة في إدارة الأعمال - (Mini MBA) منظمة التحكيم الدولية.

- شهادة تدريبية معتمدة من PLP Gate و EPS للتطوير التدريبي.

- شهادات مهارية في مهارات التواصل، التفكير الإبداعي، وإدارة التغيير.

- المهارات الأساسية

- مهارات تخصصية: البحث العلمي، التأليف والكتابة الإبداعية، إعداد المحتوى المعرفي، التدريب والتطوير، الاقتصاد الإسلامي.

- مهارات تقنية: إجادة العمل على البرامج المكتبية(MS Office) ، مهارات تقنية محاسبية.

- اللغات

- اللغة العربية: اللغة الأم (إجادة تامة في الكتابة الإبداعية والأكاديمية).

تم بحمد الله وفضله